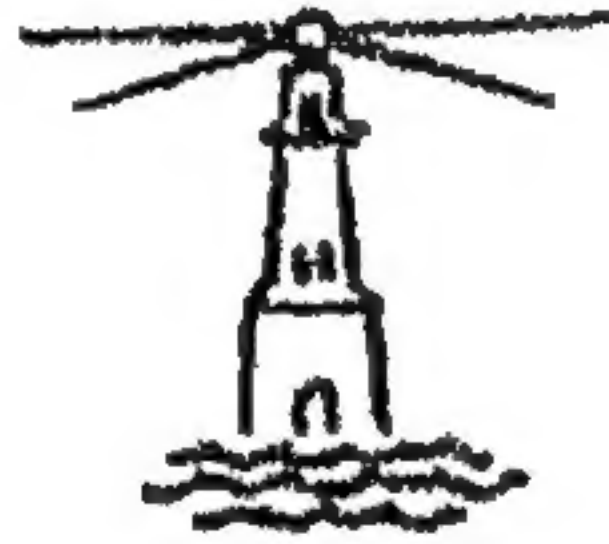


نقصہ در فی اول کل شهر

رئیس التحریر: انیس منہور



دار المعارف بمط

تجدد المعارف دار المعارف

اهداءات ٢٠٠١

الاستاذ/القطب محمد طبلية

القاهرة

صلاح طنطاوی

# ١٠٠ مليون دقيقة واسترااليا

اقرأ ٤١٧

دارالمعارف بمطرب

٧ (أقرأ

## تقديم

بقلم سعد الدين توفيق

كانت فكرة تقديم مسرحية عربية في أستراليا فكرة غريبة حقًا . .  
ولكنها لم تكن مستحيلة . . فهناك حوالى خمسين ألف عربى يعيشون في  
أستراليا ، لا يشاهدون مسرحاً عربياً أو فيلماً عربياً أو يقرءون جريدة  
أو مجلة عربية . . ليس لديهم سوى الذكريات العميقة التى تربطهم  
ببلادهم .

فى هذا « الوادى » قرر الفنان المصرى صلاح طنطاوى أن « يصرخ » ! .  
وهذه هى تفاصيل أول . . وربما آخر - تجربة فنية .  
فى شهر مارس فكر صلاح فى أن يحتفل بذكرى سيد درويش .  
ولكن كيف . وأين يستطيع إقامة مثل هذا الاحتفال وهو شخصياً لا يعرف  
أحدًا هناك لأنه كان قد وصل مهاجراً إلى أستراليا قبل ذلك بشهرين  
فقط . وكان « بالتيلة » يعيش ويعمل فى وظائف لا تتفق وماضيه  
الطويل فى القاهرة رساماً وممثلاً ومؤلفاً مسرحياً . ومع ذلك فقد  
واجه صلاح التحدى بإرادة قوية ، بل لعلى لا أبالغ إذا وصفتها بأنها  
جسارة . إذ لابد أن تكون إرادتك جسارة حقاً عندما تقرر أن تحتفل فى  
أستراليا بذكرى سيد درويش فى مسرح أمام جمهور ، مع العلم بأنك



واستطاع صلاح رغم ذلك أن يذلل معظم هذه العقبات . أما العقبة التي فشل فشلاً ذريعاً في تذليلها رغم كل المحاولات فكانت تتلخص في شاب من الهواة اسمه فهمي . فبعد بروفات شهر كامل اتضح عجزه التام عن حفظ جملة واحدة تتألف من أربع كلمات ! . . مرة بعد مرة ، وبروفة بعد بروفة ، ولا فائدة ! . . وفي كل مرة يبدو وكأنه غريب يشهد البروفة لأول مرة ! ! . .

يقول صلاح : « عرضت عليه أن يترك الدور ما دام لا يستطيع أن يحفظه . ولكنه تمسك بالدور بشكل مؤثر . فتركت له الدور وبحثت عن طريقة أعالج بها هذه المشكلة . ثم وجدت الطريقة . كان دوره يتطلب أن يمسك مصحفاً في يده طول الوقت ويفتحه من وقت لآخر ويقرأ فيه . فكتبت له دوره في نوتة صغيرة واستبدلتها بالمصحف على أن يقرأ دوره من النوتة باستمرار وكأنه يقرأ القرآن .

« ثم جاء اليوم الموعود . يوم الافتتاح وتحولت صالة الكنيسة الهادئة إلى صالة سينما في أحد أحياء القاهرة الشعبية ! ! فمن أجهزة التسجيل تتصاعد الأغاني المصرية . ومن البوفيه تتصاعد رائحة الطعمية التي أعدها أم برناديت لبيعها في سندويشات استكمالاً للجو الشعبي المصري .

ووسط هذه الحرارة وهذا الحماس بدأنا الحفل . فقدمنا تابلوه « الوطن العربي » وهو النشيد الذي وضعه محمد عبد الوهاب . . ثم تابلوه « عدوية » من ألحان محمد الموجي . وتابلوه « الجارسونات » من ألحان سيد درويش . وبعد هذه التابلوهات الغنائية الراقصة قدمنا مسرحية « سيد درويش » . . وقد نجحنا نجاحاً سائلاً إلى آخر عمري أتذكره

وأتدفاً به . كان التصفيق يقاطعنا طول الوقت . والضحك يتعالى أمام كل جملة مرحة . وملأت السعادة قلوبنا نحن الممثلين .

« أما فهمى فقد أثبتت مفاجاته اللطيفة أنها أكبر من ذكائى ! . . كنت أتصور أنى ضمنتته بعد أن كتبت له دوره فى نوتة وسمحت له بأن يقرأ الدور من النوتة أثناء التمثيل ، ولكنه كان يفتح النوتة ويردد حواراً من الفصل الثانى فى حين أننا فى الفصل الأول . . أو يردد حواراً من الفصل الأول ونحن فى الفصل الرابع حتى بدا وكأنه يعيش فى مسرحية أخرى . وحتى كاد يحدث لنا بلبلة غريبة على المسرح لولا ما كان يسود العرض كله من روح طيبة .

« ثم كان دوره يتطلب منه أن يحمل إبريقاً مليئاً بالشاي ويوزعه على الممثلين فى أحد المشاهد . وقد حرصت على أن أملاً له الإبريق بنفسى بين الكواليس حتى لا يحدث خطأ . ومع ذلك فقد ظهر على المسرح والإبريق خال تماماً من الشاي ! . . واكتشفت فى النهاية أن فهمى شرب الشاي كله أثناء فترات الاستراحة حتى يبقى منتبهاً ولا يكبس عليه النوم !

« وجاء موقف بينى وبينه على المسرح . كان الموقف يقضى بأن يخرج فهمى من المسرح ويتركنى بمفردى على المسرح لكى أغنى « زورونى كل سنة مرة » . .

« وبدأ الموقف على ما يرام . وانتهى فهمى من دوره . وقال :

« تصبح على خير يا شيخ سيد » ولكنه لم يخرج من المسرح . وقف جامداً فى مكانه وقد نسي البروفات العديدة التى تدربنا فيها على هذا المشهد .

همست له بالخروج : اخرج يا فهمى . . اخرج . ولم يخرج ! . . .  
تصلب فى مكانه ولم يتحرك . واضطرت أن أهرس لرجال الإضاءة  
لتخفيفها وأكملت المشهد العاطفى ، فبكيت وغنيت وهو واقف بجانبى  
إلى آخر الفصل . وبين الكواليس أمسكت بتلابيبه وسألته عن السر فى  
عدم خروجه . فأجاب فى براءة تامة بأنه كان يعجب بأدائى للمشهد  
الآخر . ولذلك وقف ليشاهدنى عن قرب ! ! . . .

« كان لا بد أن تحدث هذه الأخطاء اللطيفة فى عمل هو الأول  
من نوعه فى أستراليا ومع أشخاص يقفون على المسرح للمرة الأولى فى  
حياتهم . وكان النجاح رائعاً وفى الختام غنينا النشيد الخالد « بلادى  
بلادى » فألهبنا حماس الجماهير التى وقفت تردد النشيد معنا والدموع  
تملاً عيونها . »

هذه سطور من كتاب جديد اسمه « ١ ٢ مليون دقيقة فى أستراليا »  
من تأليف صلاح طنطاوى .

إن هذا الكتاب متعة حقيقية لأنه يروى بصدق وبصراحة تجربة  
حقيقية . وبعد أن قرأته مرتين ، مرة بالقطاعى عندما تصفحته ، ومرة  
بالجملة عندما عدت إلى أول سطر فيه وقرأته بالترتيب ، سرحت مع أحلامى  
وتمنيت أن يفكر صلاح طنطاوى فى تحويل هذه القصة الحقيقية إلى  
قصة سينائية . وليس من شك فى أنها ستكون فيلماً لطيفاً وجديداً وغريباً . . .

سعد الدين توفيق



## ❁ الطريق إلى قوس قزح ❁

في الطائرة أخيراً حقاً . . .

ورائي أحلامي الكثيرة العريضة في أشياء بعضها مبهم وبعضها واضح . .  
وأمامي قارة هي أبعد مكان في الدنيا . وهي فيما سمعت المكان الوحيد الذي  
يسمح بتحقيق أكثر الأحلام طموحاً وجنوحاً إلى الخيال .

هأنذا في الطريق إلى قوس قزح أمتطي هذه الطائرة الضخمة التي لم  
أرها قبل ذلك إلا في المجلات وأفلام السينما .

عند دخولي الطائرة لفحني هواء بارد ، واستقبلني موظف طويل عريض  
ذو شارب كث ، وذكرني منظره وثوبه الأزرق الرسمي بصورة البحار الشهير  
على صناديق السجائر . ثم أرشدتني المضيفة إلى مكاني الذي تصادف  
أن كان بجانبه مقعد آخر خال . جلست ومعى حقيبة ضخمة كنت أتعثر  
في حملها ، ولكني أصمم على الاحتفاظ بها متظاهراً بأنها ( حقيبة يد )  
متهرباً بذلك من الوزن القانوني المسموح به في الطائرة وهو ٢٠ كيلو .  
هذا الوزن الذي حرصت على ألا تزيد حقائبي الأخرى عليه .

استمر الهواء البارد الذي استقبلني يعيش في نفسي وخيالي ويلفح  
أطرافي فيكاد يجمدها . لم يسترع دخولي وجلوسي انتباه أحد ، كما كنت

أتصور ، أو كما كان يصور لى انفعالى الشديد . ولم يكن جميع من فى الطائرة مهاجرين إلى أستراليا أيضاً كما كنت أتصور ، ثم جاءت جلستى بجوار النافذة ، فأشعلت سيجارة وجلست، فى توتر وتأهب منتظراً لما يحدث .

ولكن لم يحدث شيء . ولم تأمرنا المضيفة بربط الأحزمة كما كنت أسمع من قبل ، ولعلها حرصت على عدم إقلاق راحة الركاب النائمين ، حيث كانت الساعة منتصف الثالثة صباحاً .

لم يصعد من مطار القاهرة غيرى . ولم يجاورنى أحد فى مقعدى ، وقضى على أن أقطع المرحلة الأولى من رحلتى وحيداً ، محروماً من متعة الحديث مع الركاب كما يحدث فى قطارات الدلتا .

ثم أقلعت الطائرة فى هدوء . وفى ثوان اختفت عن عيني معالم مطار القاهرة ، ووجدت نفسى فى بطن هذا الحيوان الخرافى ، فى أجواء الفضاء .

حاولت أن أقرأ فلم أستطع ، وحاولت أن أنام مثل باقى الركاب فلم أستطع ، ووجدتنى متيقظاً متنبهاً متوتراً ، فهربت من تصورات المستقبل إلى اجترار الماضى . منذ شهور قليلة لم تكن فكرة الهجرة قد خطرت لى على بال . ربما عابثتى فكرة السفر من وقت لآخر كما يحدث لكل إنسان عندما تمر به ساعات ضيق أو ساعات رغبة فى التغيير .

ولكن الهجرة كتغيير ماذى ملموس لم تكن قط من بين الرغبات التى عابثت خيالى فى أى فترة من فترات حياتى ، فإننى بطبيعتى أتهيب دائماً التغيير ، وليس أحب إلى نفسى من أن يستمر حالى دائماً كما هو ،

إيثاراً للدعة والألفة وتهيباً من المجهول . ولقد عوضني الله عن ذلك (الركود) الجسدي بنشاط روحي رائع يتمثل في خيال محلق يطوف الدنيا كلها في غمضة عين . خيال يحقق لي كل ما أحب بصورة لا تستطيع الحقيقة أبداً أن تصل إليها .

وأستراليا نفسها لم يكن اسمها ليغني لي شيئاً أكثر - ربما - من المعلومات الجغرافية التي تلقنتها في الماضي والتي تراجعت على مدى السنين إلى أطراف الذاكرة كمعلومات باهتة غير محدية لا يشعر العقل باحتياجه إليه .

ومع ذلك هأنذا في الطائرة ، في الطريق إلى أستراليا .  
 ما الذي حدث حتى جعلني أغير حياتي بهذا الشكل الحاد ؟  
 لعلها جملة عابرة سمعتها من زميل لي في العمل أثارت في نفسي  
 كوامن كثيرة لم أكن أدري بوجودها من قبل .  
 خيل إلي بعد حديثي العابر مع زميلي بأن الهجرة هي الحل المثالي  
 لكل مشاكل . وماذا كانت مشاكل ؟ .

لم تكن مشاكل بقدر ما كانت رغبات تمجيش في نفسي باستمرار ،  
 تهبط وتعلو ولكنها لا تختفي أبداً . . إن مواهي جديدة بأن توفرها لي ،  
 ولكن ظروف كانت تمنعني من الحصول عليها . رغبات في معاشة تلك  
 العوالم الساحرة الغريبة التي قرأت عنها آلاف الكتب ، يضاف إلى ذلك  
 رغبتان أساسيتان أعتقد أنهما السبب المباشر في هجرتي إلى أستراليا .  
 السبب الأول يعود إلى خيالي الجامح الذي يرفض دائماً أن يتصور شيئاً  
 دون أن يسرع كالريح إلى نهايته . حتى اختلطت نهايات الأمور مع

بداياتها في تصوري . هكذا تصورت أنني مهما عشت ومهما كتبت ومهما  
 نجحت ، فسوف أظل محدوداً بجمهور يقرأ لغة واحدة . وصور لي طموحي  
 أنني أستطيع أن أقهر ذلك التصور البخيل إذا ألقيت نفسي في عالم آخر  
 يتكلم لغة أخرى ، وألقيت بمواهي أمام جمهور آخر ، جمهور لا تحده  
 حدود وتنتشر لغته في جميع أطراف المعمورة .

صور لي طموحي إذن أنني إذا نجحت في الكتابة بلغة ( عالمية )  
 فإنني أستطيع أن أحلم بأن أصير فناناً عالمياً .

السبب الثاني هو نوع من سوء المصادفات المضحك ، أو الذي  
 يبدو الآن مضحكا ، ولو أنه طالما آلتني وصور لي وجودي كله ومستقبلي كله  
 في صور مظلمة شائبة .

فقبل هجرتي بست سنوات صدر قرار بنقلي من وظيفتي بالقاهرة  
 إلى إحدى مدن الوجه القبلي . ولما كنت لم أغادر القاهرة في حياتي - إلا  
 لمزاجي - فقد جاء هذا النقل صدمة لكل أعمدة حياتي . يضاف  
 إلى ذلك أن اهتماماتي بالمرسح والأدب والصحافة لم تكن لتجد مجالها  
 إلا في القاهرة .

وتصورت عند نقلي أنها صدمة عابرة ، وأنتي أستطيع أن أعود إلى  
 القاهرة بعد مضي بعض الوقت . ولكن كل ما يحدث ، أو كل ما يستطيع  
 أن يحدث ، من عقبات حدث لي حتى لا أعود إلى القاهرة .

جربت كل وسائل التغيير من طلبات للنقل وللندب وللبدل وللإستقالة ،  
 وللتعيين الجديد ، ولكن لا فائدة ، كأن الدنيا كلها قد اجتمعت لتجعل  
 بعدي عن القاهرة مصيراً أبدياً .



إلى مرحلتين ، الأولى للكشف الباطني ، والثانية للكشف بالأشعة . ثم قيل لي في النهاية إن هذه هي آخر مرحلة . وعلى الآن أن أنتظر أربعة أشهر حتى يأتي التصريح بدخول قارة الأحلام .

وتعوذت بالصبر الجميل في هذه المدة الباقية حيث بدا أنه لا حياة في تغييرها ، وإن كنت لم أحتج إلى هذا الصبر الجميل . فبعد شهر واحد فوجئت بالتصريح النهائي يصلني في خطاب رقيق من مكتب الهجرة .

وكان التصريح يسمح لي بدخول أستراليا في خلال مدة سنة من تاريخه ، ولكنني لم أنتظر . ولماذا أنتظر ؟ ما قد تحققت أحلامي بصورة باهرة ، وجاءتني موافقة ( عالمية ) بعد ست سنوات من الرفض القاطع لكل طلب بسيط أتقدم به .

سلمني مكتب الهجرة خطاباً ( إلى كل من يهمه الأمر ) يفيد بأن إقامتي وسكني وعمل مكفولة عند وصولي إلى أستراليا . وأمام أسباب الطمأنينة هذه سارعت بتقديم استقالتي من عملي واستخراج جواز السفر ، وأنهيت إجراءات التصريح بالخروج في أيام ، ثم ودعت أهلي وأصدقائي ، وركبت الطائرة في الساعات الأولى من صباح أحد أيام يناير .

وهأنذا في الطائرة أخيراً حقاً . وقد زالت عني رهبة الموقف ، ونظرت من النافذة المجاورة لي لأرى الطائرة فوق السحب ، ويخيل إليّ من فرط سرعتها أنها واقفة في مكانها . وأرى من خلال السحب بحاراً وجبالاً تبدو وكأنها خريطة باهتة في أطلس مدرسي قديم .

وبدأ ضوء النهار يدخل من النوافذ الضيقة وبدأ الركاب يستيقظون

وجاءت المضيفة لتقدم لنا الفطور ، وهو كأس شراب له لون المائتو وطعمه به مزوذة غريبة . وصدمني هذا الطعم عندما تذوقته لأول مرة . وظل يصدمني دائما حتى بعد أن عرفت أنه عصير الأناناس . .

ومع شراب الأناناس جاءتنا صينية بها أطباق ميكروسكوبية بها ما يكاد يكون « عينات » من الطعام . ولم يكن هذا ما تصورته عن طعام الطائرة ، ولكني جاريث من حولي وأكلت ذلك الطعام الذى تركنى أكثر جوعاً مما كنت عندما بدأت فى تناوله .

« تسمع بالمعيدى خير من أن تراه » . . هذا ما قلته لنفسى عن المضيفة التى طلبت منها مزيداً من هذه الوجبة المضحكة ، فنظرت إلى باستغراب شديد ، وكأننى أطلب شيئاً منكراً . ثم عادت على مضض وقدمت لى بعض الفئات أكلته حتى لا أتعرض للجوع فى هذا السجن الطائرة .

ثم جاءت أول محطة للطائرة : ( كوالا لامبور ) ، وقيل لنا إن المدة المسموح لنا بالخروج فيها هى ثلاثة أرباع الساعة ، ثم أعطونا تذكرة صغيرة تسمح لنا بتناول شراب مجاني فى مطار ( كوالا لامبور ) .

وخرجت من الطائرة لتقابلنى شمس متوهجة وقيظ شديد ووجوه سمراء . قصصت بوفيه المطار ، وتناولت الشراب المجانى ( الوحيد ) فى البوفيه . الأناناس مرة أخرى . . ثم عدت إلى الطائرة . ومن كوالا لامبور صعد راكب جديد أسمر ذو عين وجلس بجانبى . واحدة وملاح قاسية . ورحبت به وتصورته مهاجراً مثلى ، ولكن اتضح أنه موظف رسمى فى كوالا لامبور . سجان على وجه التحديد، وأنه ذاهب فى مهمة رسمية فى هونج كونج .

وحكى لى صديقى السجنان الشئ الكثير عن بلاده وعن مشاكلها السياسية والاجتماعية وعن كفاحه هو ضد قوى الاستعمار أو قوى التحرير لا أدري . ثم جاءت هونج كونج أخيراً وهبط فيها .

وتوالى المطارات ، وتوالى شراب الأناناس كأنه ( قسمة ونصيب ) . وفى النهاية وصلنا إلى أول مطار فى أستراليا مطار ( أدليد ) .

وجاء هذا المطار بعد المطارات السابقة مفاجأة مذهلة . قطعة رائعة من فن المعمار ، عامر بكل أسباب الفخامة الحضارية والذوق الجميل . وشربت الأناناس دون أن أشعر بمزوزته وأنا مبهور بألوان الجمال التى تحيط بى ، وكأنى فى متحف فى بديع . هذه هى أستراليا إذن أرجو أن يصدق المثل القائل : ( الخطاب يقرأ من عنوانه ) .

ومن ( أدليد ) صعد الطائرة شاب أسترالى جلس بجانبى وبدأنى الحديث فى ألفة وبساطة ، فأخبرنى أنه جندي عائد من حرب فيتنام بعد سنوات من البعد عن وطنه . ووجدته ساخطاً على الحرب وعلى فيتنام وعلى كل ما ينتمى إليها . ولكنى لم أنجح فى أن أعرف منه شيئاً عن طبيعة الحياة فى أستراليا ، فإنه كان يجيب عن كل سؤال بما يشبه النكتة والدعابة ، ثم يغير ما يقول ، ثم يتفرع إلى حديث آخر . وفى النهاية عرفت أننى لم أعرف منه شيئاً ، ولا غرابة فى ذلك فلعله هو نفسه لا يعرف شيئاً عن بلاده . .

ثم وصلنا إلى المطار الأخير للطائرة : ( سيدنى ) الذى لم يكن المطار الأخير بالنسبة لى ، فقد كنت أقصد ( ملبورن ) . لماذا ؟ لست أدري . . فى سيدنى مررنا بموظفى الجوازات والجمارك مرور الكرام ، فلم يفتح أحد لنا حقيبة ولم يفتش جيئاً . وكان الاستقبال رقيقاً مهذباً ترك فى نفسى

أثراً بالغاً ، وكان على أن أستقل الطائرة المحلية . . من ( سيدنى ) إلى ( ملبورن ) وهذا ما قلته لموظف الجمارك المذهب الذى تولى حمل حقائبي بنفسه ونقلها إلى الطائرة الأخرى فى دماثة غريبة جعلتنى أقول فى نفسى إنه إذا كان الأستراليون جميعاً على شاكلة هذا الملاك فإن هذه هى الجنة حقاً . .

ثم تركنى الملاك ومضى إلى حال سبيله ، وركبت الطائرة الصغيرة التى بدت كاللعبة الخشبية الصغيرة بالقياس إلى الطائرة الضخمة التى تركتها لتوى .

حتى المقاعد فى الداخل كانت صغيرة متلاصقة كأنها « صالة » سينما أنشئت على عجل . ومرة أخرى جاءت جلستى بجوار النافذة . وجلس بجانبى زوجان فى أواخر السن . وما كان أشد دهشتى عندما عرفت أنهما من مصر ، وأنهما هاجرا إلى أستراليا منذ عشر سنوات . حادثائى بعربية متكسرة وسألانى عن كل شىء فى مصر بشوق وحنين .

كان الرجل يبدو عجوزاً لطيفاً ، أما الزوجة فقد كانت تتصنع الشباب وترتدى ثياباً زاهية الألوان . طمأنانى على طبيعة الحياة فى أستراليا وعن سهولة الحصول على عمل ، ولاحظت فى أثناء الحديث أنهما عاشا فى مصر حقاً ، ولكنهما لم يحملتا الجنسية المصرية . . ثم حلقت الطائرة فى سماء ( ملبورن ) بعد قرابة ساعة ، وعند ذلك رأيت من النافذة أجمل منظر رأيته فى حياتى . ملبورن . . دائرة هائلة من الخضرة اليانعة تتخللها أو لا تكاد تتخللها مبان صغيرة ذات أسقف حمراء اللون ، حتى خيل إلى أن ملبورن حديقة كبيرة وليست مدينة . ثم اتضح المنظر بالتدريج ، وإذا

بملبورن فعلا حديقة ضخمة تتناثر فيها المباني والشوارع والأبنية .  
وظهر مطار ملبورن ، وهبطت الطائرة ، وأرشدني أصدقاءى الجدد إلى  
أن أركب أتوبيس المطار ليوصلنى إلى قلب المدينة . أما هما فقد ركبا  
سيارتهما الخاصة التى كان ينتظرهما بها ابنيهما . حملت حقائبي وركبت  
« الأتوبيس » الصغير الأنيق الذى لا يوجاء به كمسارى وإنما السائق هو  
الذى يحصل ثمن التذاكر ودفعت ثمن التذكرة ( نصف دولار ) . وكان  
هذا أول مبلغ أنفقه فى أستراليا .

جلست فى « الأتوبيس » وأنا أشعر بتعب شديد . فلم أكن قد نمت  
ساعة واحدة فى الاثنتين والعشرين ساعة التى استغرقتها الطائرة فى الوصول  
من القاهرة إلى سيدنى ، ولكنى أخذت أطمئن نفسى بأننى بعد قليل سوف  
أصل إلى قلب المدينة ، وأجد رجال الهجرة فى انتظارى لإرشادى إلى محل  
راحتى وإقامتى .

وانتهى « الأتوبيس » من رحلته ، ووقف فى فناء واسع هبط فيه  
الركاب . وحملت حقائبي الثلاث ونزلت . ونظرت حولى فلم أجد أحداً فى  
انتظارى . وانصرف الركاب جميعاً ، وانصرف « الأتوبيس » نفسه ، وبقيت  
وحدى .

أين رجال الهجرة ؟ هل وصلت إلى قارة خطأ ؟ ! !  
انتظرت دقائق فلم يظهر أحد . ثم لاحظت موظفاً فى كشك خشبي  
صغير ، فتقدمت نحوه وسألته عما إذا كان عنده علم بقدمى ، ولكنه نفي  
علمه بأى شئ ، كما نفي أن أحداً من رجال الهجرة قد حضر فى ذلك اليوم .  
وما العمل ؟ على إذن أن أذهب بنفسى إلى مكتب الهجرة . ولكنه

أنخبرنى بأن اليوم الأحد العطلة الأسبوعية الرسمية ، وأن مكتب الهجرة وجميع الوزارات والمصالح فى إجازة . وتصورت أنه من المستحيل ألا يكون أحد موجوداً على الإطلاق فى مكتب الهجرة ، فطلبت منه أن يدلنى على مكتب الهجرة ، فأرشدنى إليه ، وكان على مسافة قريبة من الجاراج ، فركت حقائى عنده ، وخرجت من الجاراج إلى شوارع ملبورن لأول مرة . كانت الساعة الثالثة ظهراً ، ولكن الشمس كانت مخفية ، والجو بارداً جداً ، والمطر يهبط على شكل رذاذ خفيف ، والشوارع صاعدة هابطة ، والمنازل مغلقة والمحلات مغلقة ، وكل شىء متلفع فى إطار من البرودة والفراغ وما يشبه الظلمة .

ولكن أشد ما أدهشنى كان ذلك الصمت المروع . الصمت الذى لم أعرفه قبل الآن قط . فلا صوت بشر ولا عربة ولا ترام ولا حتى طيور . صمت هائل مخيف يكاد الإنسان يحس به مادياً ملموساً ، كأن المدينة مهجورة ، أو كأن البشرية لم تدب على الأرض بعد .

سرت حسب إرشاد موظف « الجاراج » حتى وصلت إلى مكتب الهجرة ، ووجدت أمامه حديقة ضخمة كانت هى المكان الوحيد العامر بالأحياء . طيور بيضاء غريبة تطير على مستوى منخفض وتطلق صرخات غريبة روعت نفسى لشدة تأثيرها وسط الصمت الهائل .

ووجدت مكتب الهجرة مغلقاً ولا دليل على وجود إنسان فيه .

آه . . ماذا أفعل ؟

بدأ الخوف يتسلل إلى نفسى ثلجاً بارداً . فلم يكن فى جيبي إلا ثمانية جنيهات أو ١٦ دولاراً أسترالياً هى كل ما دخلت به أستراليا . ولم أكن

أعرف أحداً على الإطلاق في أستراليا . كان خطاب مكتب الهجرة المطمئن في جيبي . ولكن ما العمل الآن ؟ أين أقضي الليلة ؟ وعلى حساب من ؟ . عدت إلى الجاراج وعرضت مشكلتي على موظف الجاراج ( وهو المخلوق الوحيد الذي رأيته منذ وصلت ) . كان الموظف شاباً صغيراً مهندياً سريع الكلام سريع الحركة . . وقد طمأنني أولاً إلى أنني ما دمت أتكلم الإنجليزية بطلاقة فلا خوف على . وأخبرني بأنه كثيراً ما استقبل مهاجرين لا يعرفون من الإنجليزية كلمة واحدة . . ثم كان الحل الذي اقترحه لمشكلتي هو أن أقضي الليلة في فندق على أن أذهب إلى مكتب الهجرة في الصباح التالي .

وسألته عن إيجاز الغرفة في الفندق فأجاب بأنه في حدود خمسة أو ستة دولارات . وتراجعت في ذعر فلا أستطيع إنفاق رأسمالي الوحيد ( ١٦ دولاراً ) بهذه البساطة .

ثم طلبت منه أن يساعدني في العثور على أرخص محل للنوم . فاقترح على جمعية الشبان المسيحيين ، إذ ليس هناك - فيما يعلم - ما هو أرخص من نفقاتها ، وافقت وحجز لي بالتليفون حجرة بإيجار ( ٣ دولارات ) في الليلة ( ونصف دولار ) للفقير .

اطمأننت إذن على قضاء الليلة ، وسألته عن مكان جمعية الشبان المسيحيين فاقترح على أن أركب تاكسي ، فكدت أشك في سلامة عقله . . وعند ذلك تطوع بأن يوصلني بسيارته إذ كان ميعاد عمله قد انتهى . قبلت عرضه في امتنان . وبعد دقائق كنا في سيارته بعد أن تركت حقائبي عنده لليوم التالي . .

سارت السيارة في الشوارع الجميلة المهجورة . وأردت أن أجامله فأبدت إعجابي بالطابع ( الإنجليزي ) الذي يبدو في كل شيء . ولكن هذه المجاملة أغضبته وفسر لي غضبه بأن الأستراليين ( أو الجيل الجديد منهم على الأقل ) يكرهون الإنجليز ، ويحاولون التخلص من تغلغل النفوذ الإنجليزي ، ونصحني ألا أكرر هذا الخطأ أمام أي أسترالي مرة أخرى . . .

حاضر . ماذا يهمني أن يكره الأستراليون الإنجليز أو يحبوهم ؟ إن أمامي ألف مشكلة تتطلب التغلب عليها .

بعد دقائق كنا أمام جمعية الشبان المسيحيين ووجدتها بناء ضخماً جميلاً في ميدان واسع يطل على نهر ( يارا ) . وهناك تركني الصديق الأسترالي ومضى . . .

دخلت الجمعية وفي يدي حقيبة يد صغيرة ، والبس خفيفة . وتقدمت من موظفة الاستعلامات وأخبرتها باسمي ، فأعطتني مفتاح حجرتي بيد ، ومدت يداً أخرى قائلة : ٣ دولارات ونصف من فضلك .

صعدت إلى حجرتي في الطابق الثاني بعد أن عبرت ممرات وجدت الصمت فيها أشد هولا من صمت الشارع . وفتحت باب الحجرة ودخلت وخلعت ملابسى وارتديت « بيجامة » ثم تمددت - أخيراً - على السرير ، وقلت لنفسى : أنا الآن في أستراليا وفي جيبي ١٢ دولاراً ونصفاً ، ولا يعلم إلا الله ما يأتي به الغد .

ومن النافذة المقابلة لسريرى جاء الطائر الأبيض الغريب يحوم حول النافذة ويطلق صرخته الثاقبة ، فقلت لنفسى لعل هذا نوع من الترحيب . لم أكن قد تناولت أى طعام منذ إفطاري في الطائرة ، وكان عصير

الأناس هو آخر شراب دخل معدتي . ولكني لم أكن أشعر بجوع في هذه اللحظة بل برهبة وذهول وإرهاق شديد . وما هي إلا لحظات حتى غلبني النعاس .

وسرعان ما رحت في سبات عميق .



## ❁ سلطانية شای ❁

استيقظت من النوم العميق بعد ساعات .  
ولم أدرك مكانى لأول وهلة بل تصورتنى ما أزال فى مصر . شيئاً فشيئاً  
تمالكت حواسى ، وأدركت الحقيقة الباهرة ، الباردة جداً ، فقد شعرت  
بأنى فى ثلاجة ، فضلاً عن الجوع الشديد الذى كنت أسمع عصافير بطنى  
تهتف به فى « كورال » جماعى طالبة الشعب .

ارتديت ملابسى وخرجت إلى الدور الأول وطلبت من موظفة الاستقبال  
أن تحدد لى موقع الجمعية حتى لا أضل الطريق إليها عند عودتى . أعطتنى  
الموظفة خريطة لمدينة ملبورن ، وحددت عليها بالقلم موقع الجمعية ، ثم  
أرشدتنى إلى أن أمشى فى شارع ( سوانستون ) الذى يمتد من بداية المدينة  
إلى نهايتها فى خط مستقيم ، والذى لا يمكن أن أضل ما دمت أسير فيه .  
خرجت من الجمعية وفى يدى الخريطة كالسياح . استقبلنى عند  
خروجى رذاذ المطر الذى لم ينقطع . ثم عبرت ميدان الجمعية وعبرت جسر  
نهر ( يارا ) إلى ميدان آخر ، عرفت فيما بعد أنه ميدان محطة ( فلندر ) ،  
وهى محطة القطارات الرئيسية فى ملبورن .

ومن هذا الميدان بدأ شارع ( سوانستون ) على امتداد مستقيم مع جسر

نهر ( يارا ) . بهرتنى الأضواء المتعددة الألوان والمعروضات الجميلة ، ومعالم المدينة الرائعة ، ولكنى وجدت المحلات كلها مغالقة كما كانت منذ أن وصلت .

أين أستطيع أن أجد مكاناً أتناول فيه الطعام أو أشتري منه شيئاً ؟  
لم أجد مطعماً ولا محل بقالة ولا مقهى مفتوحاً ولا أى شيء ، أو على الأقل لم أجد محلاً يوحى شكله بأنه واحد من هذه .

جعلت أتقدم فى الشارع حريصاً طول الوقت على أن أنظر خلفى باستمرار لأتأكد أنى لم أبتعد كثيراً عن جمعية الشبان المسيحيين . وكلما تقدمت فى الشارع رأيت مزيداً من محلات المجوهرات والفراء والأزهار والكتب « والأنتيكات » وكل ما يمكن أن ينتجه البشر ، ما عدا الطعام ، أى طعام . .

وتقدم الوقت وأنا أذرع الشارع صاعداً هابطاً دون أن أجد غايتى . ومربى بعض الناس ولكنى نجعلت أن أسأل أحداً ، وتجرعت مرارة الوحدة والجوع على مضض حتى وقعت عيني أخيراً على محل مفتوح . محل حلويات مفتوح . كيف عميت عيناى عنه مع أنه فى أول الشارع ؟ وتذكرت المثل القائل : الغريب أعمى ولو كان بصيراً .

وقفت أمام المحل أدرسه وأدرس معروضاته . رأيت فى « الفاترينة » أنواعاً مختلفة من الحلوى ، وعلى كل قطعة سعرها . الحمد لله . لن أضطر إلى حرج السؤال أو المساومة .

بحثت بين الأصناف المعروضة عن أكبرها حجماً وأرخصها سعراً . فوجدت فطيرة بالتفاح بسعر ( ١٣ سنتاً ) . عظيم . هذا شيء فى متناول

ثروتي . . دخلت المحل واشتريت ٣ فطائر وخرجت بها في كيس من الورق .

خمنت العشاء . بقي الآن أن أشرب الشاي . . ولم يخطر ببالى أن ذلك المحل نفسه يبيع الشاي ، فعدت أسير في الشارع من جديد باحثاً عن مقهى أو ما يشابهه . ودخلت في تخبطي وتجوالى إلى مبنى محطة ( فلندر ) . ووجدت داخلها ممرات وأنفاقاً سرت في أحدها ، وإذا بي أفاجأ بالشاي ، رأيت أشخاصاً يقفون وفي أيديهم أكواب كبيرة يشربون منها الشاي الساخن الجميل . ورأيت أمامهم ما يشبه البار وخلفه عاملة هي التي تبيع الشاي والقهوة والمشروبات المثلجة ( إذا كان هناك مجنون يشرب شيئاً مثلجاً في هذا الجو البارد ) . تقدمت في سعادة وطلبت كوب شاي ودفعت ثمنه ( ١٠ سنتات ) أى ما يعادل ( ٥ قروش ) . ومن الشاي وفطائر التفاح حصلت على عشاء بديع وخرجت من المحطة قرير العين .

ماذا أفعل الآن ؟

الساعة ما زالت العاشرة فهل أعود إلى الجمعية ؟ وماذا أفعل هناك إلا أن أجلس بمفردى في الحجرة الصغيرة الباردة ؟ ولكن ماذا أفعل في الخارج وأنا لا أعرف أحداً ولا مكاناً أتجه إليه ؟ ولكن امتلاء معدتي ملأني ثقة بنفسى وبالمستقبل . وكنت قد رأيت الترام يقطع شارع سوانستون ، فقلت فلأستكشف مدينة المستقبل . ركب الترام الذى وجدته شبه خال . وسار الترام يقطع شارع سوانستون الطويل صاعداً حيناً هابطاً حيناً آخر كأنه يسير على تلال . وجاء « الكمسارى » وأعطاني تذكرة تقاضى ثمنها ( ١٣ بنساً ) أى ثمن فطيرة التفاح . هذا تبذير لا مبرر له ، والأفضل أن أغادر























فعثرت بينها على هذه اللافتة ( مكتب وظائف المؤهلات العليا ) بالدور الرابع . لم لا أجرب حظى قبل موعدى مع مستر آدمز ؟ دخلت المصعد وصعدت وخرجت ودخلت فوجدت موظفة الاستقبال تتحدث مع شخص فجلست فى مكانى حتى تفرغ الموظفة إلى .

لابد مما ليس منه بد ، فلأبقى إذن فى جمعية الشبان المسيحيين . ولأقتصد حتى الموت حتى لا أنفق ثروتى كلها فى ليلة واحدة . ولعل ميعاد مستر آدمز أن يتمخض عنه شىء مفيد . لم أكن سعيداً .

قلت لنفسى إن ما فعلته جنون مطبق . منذ يومين كنت فى منزلى معزلاً مكرماً ، وهأنذا الآن فى هذه القارة التى لا أعرف فيها مخلوقاً أجد نفسى حائراً ضائعاً كالطفل الضال الجائع . نعم إننى جائع حقاً . وعطش أيضاً ، ولكن ما أشعر به من إرهاق وقهر لا يترك لى مجالاً للشعور بشىء آخر .

ترى كيف تمضى هذه الأزمة ؟ وهل تمضى حقاً ؟ هل يأتى يوم أذكر فيه هذا اليوم وأضحك منه ؟ هل تتحول هذه التجارب المرة الساحقة إلى كلام على الورق ؟ إن كل ما أطلبه هو جسر صغير من المساعدة أعبر عليه هذه الأيام القليلة . أو هذا اليوم على الأقل إلى حيث أعمل وأربح ما أستطيع أن أقف عليه بقدم ثابتة .

يارب . . .

وعند ذلك حدثت المعجزة . . .

دخل المكتب شابان أحدهما متردد والآخر متحمس . ووفقاً للحظة ، ثم جذب المتحمس المتردد وقال له : تعال إننا لن نخسر شيئاً .

قال له ذلك بالعربية . . إنهما مصريان إذن . نظرت إليهما وأنا لا أصدق عيني ، ونظرا إلى ، وسرعان ما تصافحنا . كان المتردد هو ( فهمي حافظ ) والمتحمس هو ( رشدى حنا ) والاثنان من القاهرة ، وهما أول من صادفت في أستراليا .

وعرفت أنهما وصلا إلى أستراليا منذ شهر ، وأنهما اشتغلا بعدة أعمال ثم عرفا منى موقى وتطوعا بإرشادى إلى المساكن المفروشة التى لا تزيد قيمة الإيجار فيها على ( ٦ دولارات ) للحجرة فى الأسبوع .

فرجت . خرجنا ثلاثتنا إلى الشارع الذى يسكنان فيه وهو شارع ( دراموند ) ، ووجدنا حجرة مفروشة جميلة مجاورة لهما فى منزل أنيق دفعت إيجارها فى الحال ( ٦ دولارات ) ثم أخذت تاكسى إلى جمعية الشبان المسيحيين ووصلت فى الثانية عشرة بالضبط فسحبت ملابسى ، ثم ذهبت إلى جارج ( أنا - سينا ) حيث حملت حقائى ، وعدت إلى حجرتى الجديدة . وأقرضنى رشدى ( ١٥ دولاراً ) وأرشدنى إلى محال البقالة التى لم أرها من قبل ، لأن محل البقالة هنا اسمه ( بار اللبن ) ، وهى تسمية غريبة لا أجد لها معنى . من بار اللبن اشتريت شايًا وسكرًا وطعاماً ، وعدت إلى حجرتى وأنا أشعر بالحياة تدب فى أوصالى متذكراً فى الوقت نفسه موعدى مع مستر آدمز فى الرابعة بعد الظهر .













ولم تعرف حكومة إنجلترا ماذا تفعل بمئات المساجين الواردين إليها يومياً . عند ذلك تذكرت أستراليا . . فلتنقل إليها هؤلاء المساجين فإما ماتوا في الطريق قضاء وقدرأ ( وبذلك يرتاح ضمير إنجلترا ) ، وإما وصلوا إلى المنفى وهو مصير أقسى من الموت .

هكذا بدأت سفن ( الشحن البشرى ) تنقل آلاف المساجين والمسجونات من شواطئ إنجلترا إلى قارة أستراليا . وكانت السفن تقطع المسافة فيما لا يقل عن مائتى يوم ، وكان المساجين جميعاً مغلّلين بالقيود الحديدية ، وكانوا يلقون أقسى ألوان المعاملة في هذه السفن الخشبية مما تسبب في وفاة أعداد هائلة منهم قبل الوصول .

ثم كان يحدث في هذه السفن نفسها ما يندى له جبين الإنسانية من فسق وفجور بين السجنائين والمساجين والمسجونات . وهذه حقبة سوداء في تاريخ إنجلترا .

وعندما تصل السفينة إلى شواطئ أستراليا فإنها كانت تلفظ شحنتها البشرية وتطلق لها السراح في المجهل الجديدة فلا قيود ولا سجون . أستراليا كلها سجن كبير دون قيود .

واستمرت عمليات الشحن ، وامتألت موانئ أستراليا بالتزلاء الجدد ، الذين وجدوا في أستراليا - على عيوبها - فرصة جديدة للحياة ، فتمسكوا بها وبدءوا يخططون لاستقرارهم الدائم فيها .

هكذا بدأت حياة الرجل الأبيض في أستراليا .

حرث هؤلاء المنفيون الأرض وزرعوها ، وشيدوا المنازل ، وعبدوا الطرق ، وأنشأوا الجسور والكبارى والمدن وتحولوا مع الوقت إلى مواطنين

( عاقلين ) يحبون الحياة الشريفة المستقرة ويحرصون عليها .  
هؤلاء الأستراليون الجدد هم أنفسهم الذين ثاروا على إنجلترا فيما بعد  
ورفضوا أن يستقبلوا مجرمين جددًا . . . ووقفوا في وجه عمليات ( الشحن  
البشرى ) حتى لا يتشوه كل ما صنعه بوجود هؤلاء المجرمين ، واضطرت إنجلترا  
أن ترسل شحناتها البائسة إلى منى آخر . . . إلى أمريكا . . .

وكان ذلك في سنة ١٧٦٧ ، وقد احتفلت أستراليا في سنة ١٩٦٧  
بمرور مائتي عام على آخر شحنة بشرية وصلت إلى أرضها .  
وأرض أستراليا أرض ( فائرة ) كل ما فيها ينبت بخصوبة غريبة . كل  
شئ فيه نضارة رائعة ، وكأن الحياة تتفجر في كل ما يعيش على أرضها .  
أما أستراليو القرن العشرين فهم لا يختلفون عن الملائكة إلا في أن  
الملائكة لها أجنحة . وهم شعب مهذب مشرق صادق لا يعرف الكذب  
ولا السرقة . . .

هؤلاء هم الأستراليون الذين قابلتهم في أستراليا بعد مائتي عام من  
استقرار أجدادهم الموصومين فيها .  
وأستراليا تسمح بالهجرة إليها لجميع الأجناس ما عدا الجنس الأصفر .  
ومن المستحيل أن تجد بلداً على وجه الأرض ليس له مواطنون في أستراليا .  
وبعد أربعة أعوام ونصف من دخول المهاجر إليها يحصل على الجنسية  
الأسترالية ويصير له كل حقوق المواطن الأسترالى . وأينا حللت في أستراليا  
وجدت عشرات الجاليات المختلفة ، ولكن مصادر الهجرة الرئيسية إلى  
أستراليا ( وربما إلى العالم كله ) هي اليونان وإيطاليا ولبنان ، ولذلك فإنك  
قد تجد مدناً كاملة كل أهلها من الإيطاليين أو اليونانيين أو اللبنانيين .



### على الشاطئ في أستراليا

والحرية هي ( الغذاء ) الرئيسي في أستراليا ، فالمواطن حر في كل شيء . في عقيدته . في تصرفاته . حر في أن ينتمي إلى أى ديانة أو ألا ينتمي إلى أى ديانة ، حر يلبس ما يشاء ويفعل ما يشاء . حر في اختيار الوظيفة التي يريد لها . حر في تركها . حر في البقاء في الولاية التي يستريح فيها . حر في هجرها . حر في أن يقف على ناصية الشارع ليبشر بالمذهب الذي يؤمن به ، ولو كان هذا المذهب هو الهجوم على أستراليا .

وأكبر مدن أستراليا هي ( ملبورن ) و ( سيدنى ) ، وهما أكبر موانئها

فى نفس الوقت ، وإليهما يقصد معظم المهاجرين لأنهما مركز الأعمال والوظائف .

أما ( كَنبرا ) فهى العاصمة التى تتوسط المسافة بين ملبورن وسيدنى . و ( كَنبرا ) مدينة من أجمل مدن الدنيا وأحدثها ، وقد ولدت فى أوائل القرن العشرين عندما تنبّهت أستراليا إلى التطورات السياسية العالمية ، وشاءت أن يكون لها عاصمة سياسية وتمثيل دبلوماسى . ثم ثار الخلاف حول اختيار مكان العاصمة ، وهل تكون ( سيدنى ) أم ( ملبورن ) حتى استقر الرأى على إنشاء عاصمة جديدة تماماً فى مكان متوسط بين المدينتين الكبيرتين .

هكذا ولدت ( كَنبرا ) ، وبنيت على شكل دائرة هائلة خضراء تقوم فيها الشوارع والمباني على شكل دائرى أيضاً . ولكنها اقتصرت على السفارات والقنصليات ، ونحلت - تقريباً - من الوظائف التى تناسب المهاجرين . وأستراليا بها ست ولايات ( نيوسوث ويلز - فيكتوريا - كوينز لاند - سوث أستراليا - تاسمانيا - وست أستراليا ) . ولا تختلف واحدة من هذه الولايات عن الأخرى فى احتياجها لكل خبرة فى كل مجال .

ونظراً لقلّة كثافة السكان ( ١٢ مليون نسمة ) بالنسبة لمساحة الأرض الهائلة فإن أستراليا ترحب بالمهاجرين من كل مكان ، وتذهب فى ذلك إلى حد أن تستجلب المهاجرين من بلادهم على حسابها . وإن كانت تشترط بعد ذلك أن يعمل المهاجر لمدة ٣ سنوات فى العمل الذى تختاره له ولا بد لتنفيذ ذلك أساساً من وجود اتفاقية بين أستراليا وبين البلد الذى يصل أبناؤه بالمجان مثل إيطاليا واليونان .



### الجيل الجديد في أستراليا

والأعمال متوافرة في كل لحظة وفي كل مكان في أستراليا .  
 والسبيل الأول هو مكاتب العمل . وهي نوعان : الأول يختص بالعمالة  
 العادية ( النجارة - الحدادة - الكهرباء - السمكرة . . إلخ ) والثاني  
 يختص بالشهادات العليا والمتوسطة . والشهادات من جميع البلاد معترف بها  
 في أستراليا بشرط أن تقدم مترجمة إلى الإنجليزية ترجمة معتمدة من السفارة  
 الأسترالية أو الإنجليزية أو من بنك ( نيوزوث ويلز ) في أستراليا الذي يساعد  
 المهاجرين مجاناً ويترجم مستنداتهم من جميع اللغات إلى الإنجليزية وهي

اللغة الرسمية في أستراليا .

وبعد تقديم الشهادة المترجمة إلى مكتب العمل يمر المتقدم بامتحان شفوي إذا جازه منح شهادة خريج من إحدى جامعاتها وإلا فإنه يدرس مادة أو اثنتين يمنح بعدها هذه الشهادة .

والعملة الأسترالية كانت الجنيه الإسترليني إلى سنوات قليلة . ثم أصدرت أستراليا الدولار الأسترالي ، وهو يعادل ( ٥٠ قرشاً مصرياً ) ويحتوى على ( ١٠ شلنات ) أو ( ١٠٠ سنت )

والحد الأدنى للمرتبات بالنسبة للعامل العادي هو ( ٤٢ دولاراً ) في الأسبوع وبالنسبة للجامعي ( ٨٥ دولاراً ) . وأسبوع العمل خمسة أيام ، ويوما السبت والأحد إجازة رسمية . ووقت العمل في اليوم ( ٨ ساعات ) من الثامنة صباحاً إلى الخامسة بعد الظهر . فترات استراحة للشاي وتناول الغداء .

وكل ساعة عمل ( إضافية ) تحتسب بساعة ونصف . ومن يعمل يوم السبت يتقاضى أجر يوم ونصف ، أما يوم الأحد فأجره يساوى أجر يومين .

وفي كل شهر مكافأة قيمتها أجر يوم وربع ، وفي كل سنة إجازة ثلاثة أسابيع بأجر بالإضافة إلى الأعياد الرسمية والقومية ( وما أكثرها ) وكلها بأجر .

وأبدع شيء في هذا النظام كله هو تأمين البطالة وهو مبلغ ( ٨ دولارات ) في الأسبوع للمهاجر الجديد و ( ١٦ دولاراً ) لمن حصل على الجنسية الأسترالية .

هذا التأمين يحصل عليه بمجرد خروجه من عمله ( سواء كان هذا الخروج بسبب الاستقالة أو الفصل أو الرغبة في البحث عن عمل جديد وحتى لو كانت مدة البطالة أسبوعاً واحداً ) . .

والمعاش لكل مواطن ( لا لكل موظف فقط ) وهو معاش يحصل عليه المواطن بمجرد بلوغه سن الخامسة والستين حتى لو كان يعمل أو لو استمر يعمل .

ومدارس الأطفال بالمجان ، بل إن الحكومة تمنح الأم التي تبقى في البيت لتربية أولادها دخلاً أسبوعياً تشجيعاً على كثرة النسل .



الطيور الغريبة

والمواطن المثالى فى أستراليا هو المواطن الذى ينبج أكبر عدد من الأطفال . .

ويستطيع الفرد أن يعيش عيشة ممتازة فى حدود ( ٢٥ دولاراً ) فى الأسبوع . فالغرفة المفروشة لا يزيد إيجارها على ( ٨ دولارات ) فى الأسبوع ، والبدلة الصوفية الجاهزة فى حدود ( ٤٠ دولاراً ) والحذاء ( ٤ دولارات ) والخروف المذبوح ( ٤ دولارات ) والدجاجة المثلجة ( دولار ونصف ) ودسته البيض ( نصف دولار ) .

والأستراليون لا يأكلون إلا اللحم الأحمر فقط . أما الكبد والكلاوى والمخ وباقى أجزاء الذبيحة فإنهم يلقونها فى صناديق القمامة . ثم تعلموا من المهاجرين أن هذه الأجزاء صالحة للأكل فكفوا عن إعدامها ولكنهم لم يتعلموا أكلها . عرضوها للبيع فقط بأسعار مضحكة . .

أما الفواكه والخضراوات فإنها تباع مقطعة مجهزة فى أكياس أنيقة . وأما اللبن والشاي والسكر فأسعارها زهيدة لا تكاد تذكر .

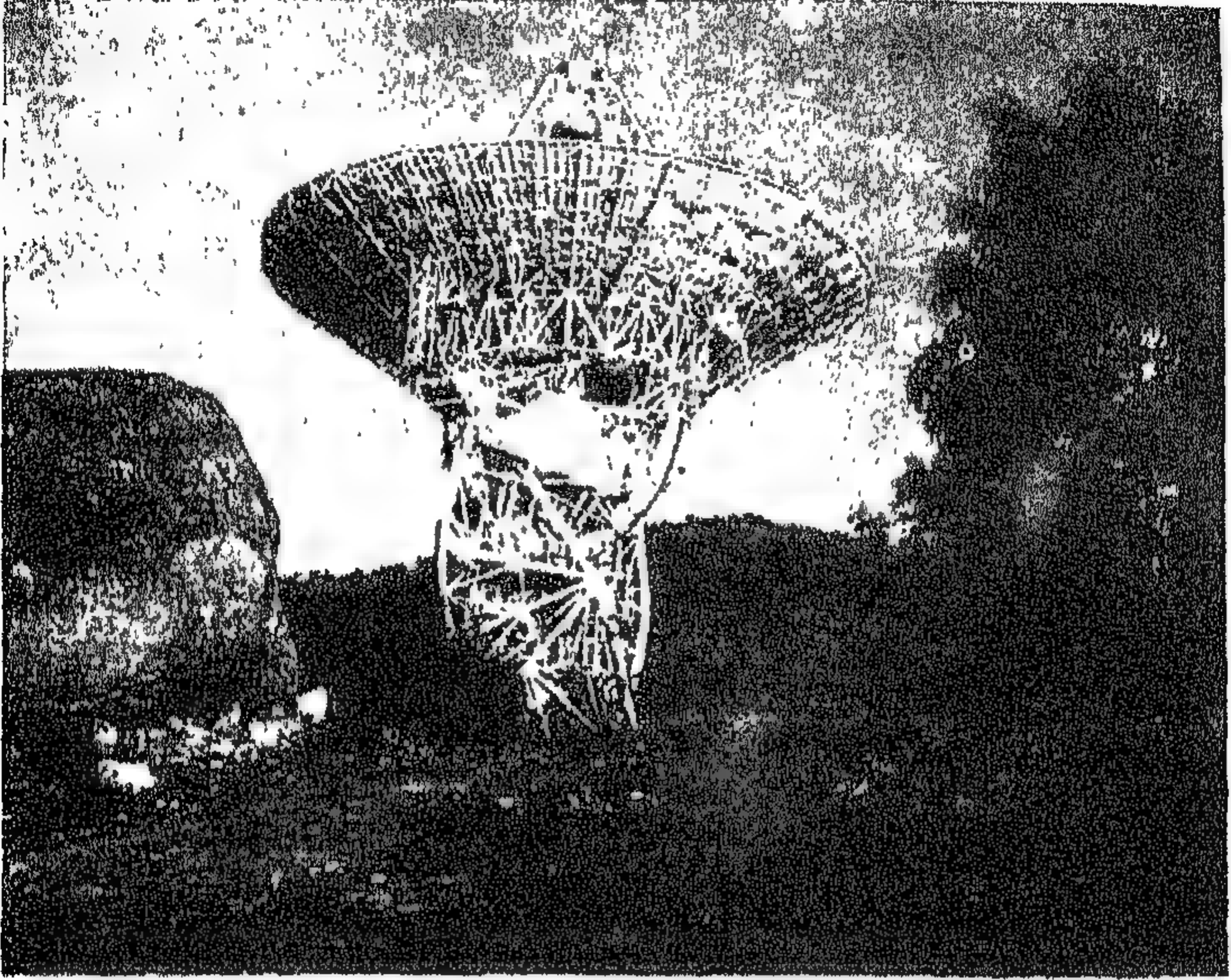
والسيارة الجديدة تباع فى حدود ( ٦٠٠٠ دولار ) ، أما المستعملة فقد يهبط ثمنها إلى ( ١٠٠ دولار ) ، وكل شىء يباع بالتقسيط .

ولا يوجد فى مجال البيع والشراء شىء اسمه الخدمة ( البشرية ) ، فكل شىء يتم بطريقة آلية . محلات البيع تدخلها فلا تبجد بائعاً أو بائعة وإنما تبجد البضائع كلها مرتبة أنيقة وعلى كل سلعة سعرها ، فأنت تختار ما يعجبك وتضعه فى عربة يد وفى النهاية تحاسب على ما جمعت من مشتريات . هذه المحلات يطلق عليها اسم ( انخدم نفسك ) ، وهذا النظام نفسه يطبق فى محلات الغسيل ، وهى محلات كبيرة منتشرة فى جميع الشوارع ،



نهر يارا

وليس فيها موظفون بل غسالات كهربائية تعمل أوماتيكياً عند وضع الأجر المحدد في الخانة المخصصة له وهو ( ١٥ سنتاً ) . وبعد نصف ساعة يخرج الغسيل نظيفاً معصوراً . ثم ينقله صاحبه إلى دولاب التجفيف في مقابل ( ٥ سنتات ) وبعد دقائق يخرج الغسيل جافاً أربعة وعشرين قيراطاً . ومكاتب العمل ليست هي الطريق الوحيد للحصول على عمل ، فإن الجرائد تنشر يومياً مئات الإعلانات عن مئات الأعمال والوظائف التي تناسب صاحب الخبرة وعديم الخبرة . فإذا قرأ طالب العمل إعلاناً عن وظيفة



محطة الرادار

تناسبه فإنه يتصل بصاحب الإعلان ويطلب منه تحديد موعد لمقابلة شخصية (ولا يمكن على الإطلاق مقابلة أى إنسان فى أستراليا دون موعد سابق) .

وفى المقابلة الشخصية يعرض الطالب مستنداته وخبراته ، فإن أعجب ذلك صاحب العمل وافق - فى الحال - على تعيينه وإلا فإنه يعتذر إليه حتى لا يضيع وقته . وما أثنى الوقت فى أستراليا .

والبنوك تنتشر فى كل مكان كما تنتشر محلات الكشرى والطعمية

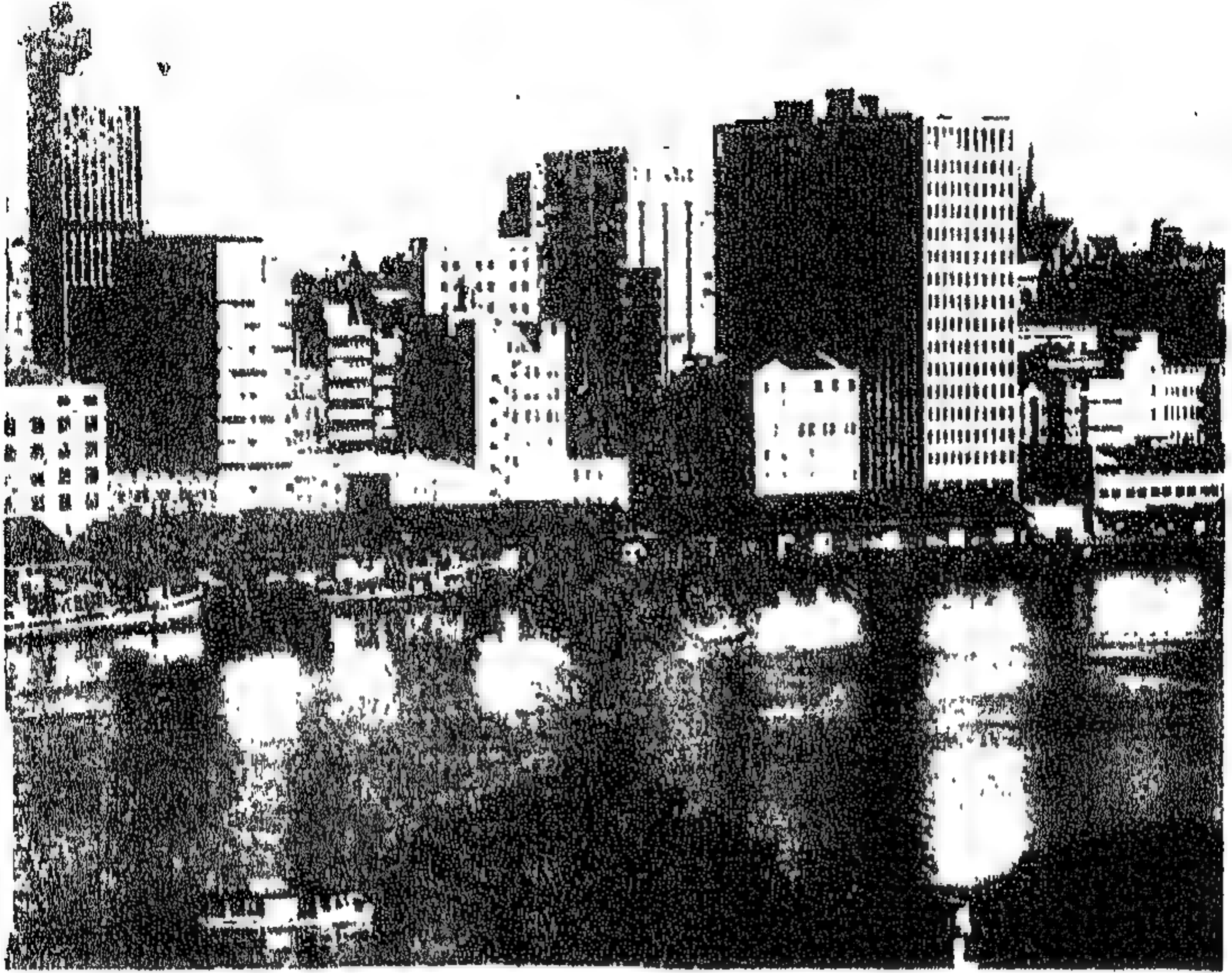
في بلادنا ، والذي له حساب في أحد البنوك تكون جميع فروع هذا البنك في كل ولايات أستراليا تحت تصرفه .

وإجراءات البنوك تتم بسرعة مذهلة . والموظفون في البنوك وفي جميع المصالح لا يختلفون عن الآلات الكهربائية إلا في أنهم يتنفسون .

والموظف الأسترالي يعرف أنه يتقاضى أجره ليعخدم الجمهور - فعلا - ولذلك فإنه في أثناء أداء مصلحة أى مواطن يعتبر نفسه خادماً لهذا المواطن .

والجالية العربية في أستراليا كبيرة لا أول لها ولا آخر ( ٦٠ ألف عربي ) وهي تجمع بين اللبناني والسوري والفلسطيني والعراقي والأردني والمصري . والمصري هو ( أحدث ) مهاجر عربي في أستراليا . وربما في العالم كله . ولكنه يتميز بين مواطنيه العرب بأن نسبة الشهادات الجامعية بين زملائه هي أعلى نسبة بين باقى المواطنين العرب . ولعل السبب في ذلك هو أن الهجرة في بلادنا نظام حديث ، ولذلك أقبل عليها معظم الجامعيين . أما في البلاد العربية الأخرى مثل لبنان فإن الهجرة منها ( تقليد ) قديم . والمهاجر اللبناني يعتبر العالم كله مجالا مفتوحاً له . ويهاجر وهو شاب صغير ثم يلتقى بنفسه في غمار جميع الأعمال المناسبة وغير المناسبة ، بعكس المهاجر المصري الذي تساعد شهادته الجامعية وإتقانه اللغة الإنجليزية على اختيار الوظيفة المناسبة . .

وهناك تجمعات عربية كثيرة قد تختلف أسماؤها ولكنها تتفق في النهاية في أهدافها مثل ( المركز الإسلامى ) وهو فرع من مراكز ( الاتحاد الإسلامى ) الذى يشرف على المراكز الإسلامية في ولايات أستراليا كلها . والمركز الإسلامى فى ( ملبورن ) يشرف عليه المواطن اللبناني



المنشآت الحديثة في أستراليا

( الشيخ فهمي الإمام ) وهو يبذل جهوداً طيبة في رعاية المهاجرين العرب ويقوم بخدمتهم في الشؤون الدينية ومراسم الزواج والوفاة . . إلخ . بالإضافة إلى الاحتفالات الدائمة بالمناسبات الدينية . ومن أحلام ( الشيخ فهمي الإمام ) بناء مدينة إسلامية تجمع بين المسجد والمدرسة وبيوت المسلمين . وهو يجمع التبرعات لذلك باستمرار . وقد تبرعت له الكويت أخيراً بمبلغ ( ٢٠ ألف جنيه ) ثم تبرع له الأمير صدر الدين خان بشيك على بياض عندما زار أستراليا .

وهناك ( الجمعية اللبنانية ) وهي فرع من ( الجمعية اللبنانية العالمية ) في أمريكا وكندا وأستراليا . ومن أهدافها الإشراف على العرب ورعاية شئونهم وتقديم المساعدات لهم في خطواتهم الأولى . ويشرف على الجمعية اللبنانية في ملبورن ( الخورى بولس الخورى ) .

وهناك ( الرابطة العربية ) وهي إحدى التجمعات العربية في أستراليا . وهي بجانب اشتراكها مع التجمعات الأخرى في أهدافها الطيبة فإنها رابطة ( سياسية ) تخطط باستمرار لمقاومة أكاذيب الصهيونية ، وتقف لها بالمرصاد ، وتهاجمها في الجرائد والإذاعة والتلفزيون . وقد أنشأ الرابطة العربية في ملبورن ( الدكتور ناصح ميرزا ) السورى الأصل ، وهو رئيس قسم دراسات الشرق الأوسط في جامعة ملبورن .

وقد أضيف إلى هذه التجمعات فيما بعد جمعية جديدة باسم ( أضواء القاهرة ) كان لى الشرف أن أكون مؤسسها ، وأن أقدم المسرح العربى بها لأول مرة في أستراليا .

أما في هذه اللحظة فإننى لم أكن أعرف شيئاً قط ، كل ما كنت أعلمه هو أن معدتى قد امتلأت وأننى وجدت أخيراً أسقفاً ( معقولاً ) أحتفى به ، وأننى ضمنت حياتى لعدة أيام قادمة ، وأن أستراليا ما تزال تبدو لى لغزاً هائلاً مجهولاً ، وأنى على موعد فى الرابعة بعد الظهر مع ( مستر آدمز ) كان يتوقف عليه - فيما يبدو - مستقبلى فى أستراليا .

حرصت على أن أخرج فى الثانية لأضمن الوصول فى الرابعة ، ولكنى لم أصل إلا فى الرابعة وعشر دقائق . المهم أننى وصلت مطمئناً إلى أن « مستر آدمز » سوف يغفر هذا التأخير البسيط من شخص لم تمض عليه

أكثر من ساعات في قارة الأحلام .

نقرت الباب بلطف ثم دخلت وعلى وجهى ابتسامة عريضة وقلت :  
— مساء الخير يا مستر آدمز .

ووجدت مستر آدمز الموعود شاباً صغيراً مصفف الشعر بطريقة  
الخنافس ، ووجدت أمامه رجلاً بدا من اضطرابه « وبهدلة » ثيابه أنه  
مهاجر جديد . وضاعت الابتسامة في وجهى عندما نظر إلى مستر آدمز  
ببرود شديد وأخبرنى أن موعدى كان في الرابعة لا الرابعة وعشر دقائق .  
ثم انصرف عني تماماً إلى زائره المضطرب .

وأغلقت الباب على مستر آدمز وزائره وأملى في وظيفة في أستراليا . ولم  
أدر ماذا أفعل ، فعدت إلى الشاب الذى حدد لى من قبل موعداً مع  
مستر آدمز والذى كان يبدو أقرب إلى البشر فقصصت عليه قصتى مع  
مستر آدمز ولعلنى أقنعتة ببراءتى أو لعله أراد أن يتخلص منى ، فإنه حدد  
لى موعداً جديداً مع المستر آدمز الذى بدأت أشعر أنه المفتاح الوحيد  
لدخول أستراليا .

جاء الموعد الجديد في الحادية عشرة من صباح اليوم التالى ، وحرصت  
هذه المرة على أن أبدأ جولتى في الثامنة ثم نجحت في الوصول في الميعاد .  
وكانت نتيجة المواجهة غريبة للغاية . استقبلنى مستر آدمز ببشاشة  
ولطف ، ولم يشر إلى ( جريمة ) تأخرى بالأمس ، وقرأت في وجهه أنه  
صفح عنها صفحاً جميلاً ، ثم قرأ مستندائى وسألنى عن خبراتى وطبيعة  
ما يمكن أن أقوم به من أعمال ، وأصدر بفمه مصمصات تدل — ربما —  
على التقدير . وأخبرنى أننى اخترت وقتاً سيئاً ( شهر يناير ) لدخول أستراليا .

لأن إجازات عيد الميلاد تمتد من ديسمبر حتى تكاد تغطي يناير . كنت قد بدأت أشعر بأننى اخترت « قارة » سيئة للهجرة ، وعلى أى حال فقد بدأ مستر آدمز العجيب يبحث لى عن وظيفة ، ففتح دفتر التليفون وبدأ يكلم الشركات والمصانع التى قد يكون بها عمل يناسبنى . ومع كل مكالمة كان قلبى يخفق ثم يهبط مع كلمة « شكراً » التى ينهى بها مستر آدمز مكالمته .

ساعة كاملة وهو ينتقل بالتليفون بين الشركات المختلفة حتى أصابنى « أنا » الملل والفتور وودت أن أعود إلى حجرتى ، التى لا يعلم إلا الله كيف أصل إليها ، ثم أشعلت سيجارة وأشعل مستر آدمز سيجارة وقال لى معتذراً إنه لا يجد عملاً يناسبنى ، فهل أقبل عملاً لا يناسبنى مؤقتاً ؟ وافقت حتى تنتهى هذه الجلسة المملة ، وعند ذلك أمسك بالتليفون من جديد لأمد لم يطل . من المكالمات الأولى وجد الوظيفة غير المناسبة : وظيفة « أمين مخزن » ، وفى الحال وردت إلى خيالى صورة أمناء المخازن فى مصر . . المكتب الكبير والسعاة الكثيرون والشاى الذى لا ينتهى والرجاءات والمجاملات . . وفى نفس الوقت كان مستر آدمز قد كتب لى خطاب التوصية المطلوب ووضعه فى ظرف أنيق وسلمه لى لأقدم نفسى « فوراً » إلى مخازن « كولز » . وضعت المظروف فى جيبي وخرجت ممتناً متعباً مصمماً على أن أصل فى نفس اليوم إلى « مخازن كولز » ، فقد أكد لى مستر آدمز أنهم فى انتظارى .

وركبت القطار وغادرته بعد ثلاث محطات كما أوصانى مستر آدمز ولكنى وجدت نفسى فى المتاهة التى كنت أجدها نفسى فيها منذ أن

وصلت إلى القارة السعيدة . . شوارع لا متناهية الطول والعرض وعربات تمر بسرعة الريح تعبر الشوارع صعوداً وهبوطاً في سرعة جنونية ، ثم لا أحد يسير ليسأله الإنسان عن شيء .

وحمدت الله على أنني لا أحضر هنا بناء على موعد محدد بل « يوم » محدد . لذلك أستطيع أن « أتوه » حتى نهاية اليوم كما أشاء .

ووصلت في النهاية إلى أرض فضاء شاسعة في وسطها بناء ضخم مكتوب عليه « مخازن ج . ج . كولز » .

ودخلت من الباب الذي لا يقوم على حراسته أحد ، فوجدت نفسي في صالة صغيرة بها أثاث قليل ونافذة تجلس خلفها فتاة ، فتقدمت نحوها وطلبت مقابلة مستر ويزرز ، فأمرتني بالانتظار ثم طلبته بالتليفون فحضر ليقابلني في نفس الصالة الصغيرة .

وعجبت أن شخصاً مثل مستر ويزرز يكون موظفاً في حين أن كل ما يناسبه هو ملجأ للعجائز أو متحف للعجائب ، فهو مخلوق ضئيل محدودب الظهر ذو ساق خشبية ويد خشبية .

لم أجد فيه شيئاً يمكن أن يوصف بالحياة إلا عينيه النافذتين اللتين ترسلان من وراء نظارته السمكة أشعة حادة أكاد أقسم أن بها تياراً من الكهرباء .

ثم تكلم مستر ويزرز ، وبذلك أضاف عجيبة جديدة إلى عجائبه السابقة فعندما انفرجت شفتاه تحركت كل أجزاء وجهه بسرعة وإخلاص كأنها أجزاء لعبة متصلة ، ولكن استحال على أن أعرف أكان مبتسماً أم مكشراً عن أنيابه . .







































أما عن الوظيفة فإننى كنت أقرأ جميع الإعلانات التى تنشرها الجرائد (والجرائد تعلن يوميا عن آلاف الوظائف فى كل ما يخطر وما لا يخطر بالبال) . وكنت أتصفح الإعلانات وأبحث عما يناسبنى . لم أشأ أن أتعرض هذه المرة لما تعرضت له فى المخازن .

وجدت عشرات الوظائف ، وكتبت عشرات الطلبات ، وجاءتنى عشرات الردود . لم يحدث أن أرسلت خطابا لم أتلق عليه رداً . وهذا فضل أخلاقى أسجله لأصحاب الأعمال فى أستراليا دون أى تحفظ ، فهم يحترمون أى خطاب يصل إليهم ، ومن المستحيل ألا يردوا عليه بالرفض أو بالقبول .

ويشاركهم فى هذه الفضيلة مصلحة البريد . فالعمل فيها منتظم بشكل رائع ، من المستحيل أن يتأخر خطاب أو يضع . بل إنك تستطيع أن تتحكم فى موعد تسليم خطابك ، فتضعه فى صندوق البريد الخاص (ببريد اليوم) أو الصندوق الخاص ببريد (الغد) . وتستطيع أن ترسل ما تشاء فى الخطابات . ساعة أو مفاتيح أو مجوهرات ، وأنت مطمئن أن شيئاً لن يضع . .

البريد فى أستراليا شئ مثالى . حلم رائع من أحلام المدينة الحديثة . هكذا امتلأ مكاتبى بالخطابات والردود . وكان الرفض هو القاسم المشترك فى معظم الردود التى تلقيتها . وكانت هناك مفاجآت طريفة فى بعض الوظائف التى تقدمت إليها مثل وظيفة (مدير المسرح) فى مستشفى صاحبة الجلالة التى اتضح أن عمل مدير المسرح فيها هو أن يقف مع الطبيب أثناء إجراء العمليات الجراحية لينقل القطن وقطع اللحم البشرية والضمادات

وما إلى ذلك .

ومثل وظيفة ( مدير الأسماك ) الذى اتضح أن عمله هو أن يقف بجوار الصيادين يفرز الأسماك حسب الأحجام .  
ولكنى لم أياس وتابعت القراءة والكتابة والأمل والانتظار . وأخيراً جاءنى خطاب يطلب منى مقابلة ( مسز درو ) فى الثانية و ٣٥ دقيقة من ظهر أحد الأيام ، كانت الوظيفة هذه المرة هى وظيفة ( رسام إعلانات ) . وفى اليوم المحدد حملت معى عينات من رسومى وذهبت إلى العنوان الذى حدده الخطاب .  
ذهبت قبل الموعد بوقت طويل . فقد علمتنى أستراليا تقديس المواعيد ، وفى هذه الأيام كنت أسير بصعوبة بالغة وأترنح يساراً ويميناً بسبب الانزلاق الغضروفى . وكنت أخشى أن يؤثر مظهرى على أملى فى الوظيفة خصوصاً أننى قد عرفت أن أصحاب الأعمال يراعون الصحة والقوة بجانب المواهب والخبرات ، وربما قبل المواهب والخبرات . ولكنى كنت أعتمد على بذلتى السوداء الأنيقة وعلى قدرتى فى التمثيل والظهور بمظهر الشاب السعيد السليم حتى أخفى عجزى الموقت .

سألت عن مكتب ( مسز درو ) ووصلت إليه . وفى الدقيقة المحددة كنت أطرق الباب وأفتح به بعد أن سمعت كلمة : تفضل . فتحت الباب ولكنى لم أدخل بل ابتسمت ابتسامة عريضة أشغل بها انتباه ( مسز درو ) عن حركاتى العاجزة . ثم فى قفزة واحدة كنت قد جلست فى الكرسي الذى أشارت إليه . . قد تظننى مجنوناً ولكن ذلك خير من أن تظننى مريضاً . ونجحت الخطة ولم تر ( مسز درو ) منى إلا جسمى الطويل العريض وابتسامتى المشرقة .











الغريبة ( دعوت الله ألا تكون ذئاباً ) وازدادت آلام ظهري حتى كدت أقع على الأرض ، وأخيراً وصلت إلى محطة القطار ، وكانت مرتفعة قليلاً عن الطريق العادى ، فصعدت إليها فوجدت بوابة خشبية صغيرة مفتوحة فدخلت منها ، ووقفت فى انتظار القطار . ثم جاء القطار وهممت بالتوجه إليه ولكنى تراجعته لقد انتبهت إلى أننى لا أعرف الاتجاه إلى ملبورن . لقد أفقدنى كل ما مرنى القدرة على إدراك الاتجاه الذى أسير فيه فلم أعد أعرف أقدم هذا القطار من ملبورن أم متجه إليها .

وجدت شخصاً بجانبى فسألته وعرفت منه أن هذا القطار قادم من ملبورن أما القطار المتجه إلى ملبورن فهو يقف على الرصيف المقابل . سألتها عما إذا كنت أستطيع أن أهبط من الرصيف المرتفع إلى فراغ القضبان ثم إلى الرصيف المقابل أم أن الأفضل أن أخرج من المحطة كلها وأدور نصف دورة خارج المحطة فأجابنى بأن هذا هو الأفضل .

وقد يبدو سؤالى ساذجاً لا هدف له ، ولكنى تعلمت أن فى أستراليا قوانين غريبة لتنظيم أمور قد لا نراها نحن محتاجة إلى تنظيم . من ذلك مثلاً القانون الذى ينظم المرور ، فالذى يخطئ فى المرور يدفع غرامة ( ١٠ دولارات ) فوراً لجندى المرور . والذى يركب بدون تذكرة يدفع غرامة ( ٥ دولارات ) للكمسارى بدون كلام أو حديث . وأشياء كثيرة مثل هذه علمتنى أن أحتاط فى كل خطواتى حتى لا أتعرض لمخالفة القوانين متذكراً المثل القائل : ( إن كنت فى روما فتصرف كما يتصرف الرومان ) .

غادرت الرصيف واتجهت إلى البوابة الخشبية التى دخلت منها ، ورأيت أنها ليست مفتوحة كما كانت منذ دقائق ، بل وجدتتها مربوطة بدوابة



به نحوى كأنما ليحذرني بأنه سيهوى به علىّ عند أول حركة عدائية تبدر منى ، كالعض مثلاً أو الخربشة . .

أمرنى الناظر بالجلوس وعدم الالتجاء إلى العنف ( إذا كنت عاقلاً ) . واجتمع الأربعة حولي وهم يتصايحون وأنا لا أفهم شيئاً من كلامهم . وفي النهاية اتفقوا على أمر . فقدم لى الناظر استمارة مطبوعة طلب منى أن أجيب عما فيها من أسئلة .

أخذت الاستمارة وقرأت أول سؤال فيها وإذا هو : لماذا ارتكبت هذه الجريمة ؟ . .

جريمة ؟ أنا ارتكبت جريمة ؟ ما هى جريمتى ؟ سألت الناظر ( وقد هدأ قليلاً ) فأجابني بأننى اعتديت على أملاك ( الكومون ويلث ) ! ! قال إننى فتحت البوابة فسمحت لركاب القطار بدخول المدينة دون تسليم تذاكرهم فالقطار فى أستراليا ليس فيه كمسارى ، وإنما كل راكب يسلم تذكرته عند دخول مدينته .

كانت الدوارة المربوطة فى البوابة إذن دوارة ( رسمية ) والذى وضعها هو واحد من هؤلاء الموظفين المجانين وليس طفلاً عابثاً كما تصورت .

كانت محاولتى ( النبيلة ) لاحترام النظام هى التى قادتني لارتكاب هذه الجريمة ، لغاية كده كويس . والعقوبة ؟

غرامة لا تقل عن ( ٢٠٠ دولار ) أو السجن لمدة لا تقل عن سنة ! ! حاولت أن أتذكر أنا اصطبحت بوجه من فلم أستطع ، وقرأت فى وجه الناظر أنه من الأسهل على أن أقنعه بأن الأرض ليست كروية من أن أقنعه ببراءتى وحسن نيتى . .











المسرح في أستراليا

وتطوره . كل ما يهمه هو ( الدولار ) . والدولار يأتي من السلعة الرائجة الناجحة . فكل المسرحيات ( مستوردة ) من أوروبا وأمريكا بعد أن تكون قد أخذت حظها من الدعاية والنجاح وتحدثت عنها صحف العالم بما ( يضمن ) نجاحها في أى مكان . عند ذلك ( يستوردها ) أصحاب المسارح ويعرضونها كما هي على الجمهور الأسترالى .  
أما المؤلف الأسترالى فلن يجد من يسأل عنه فى أستراليا ، ولذلك يبحث إنتاجه إلى إنجلترا التى ترحب حقاً باستمرار بالإنتاج الجديد ، وعندها الجمهور

والوعى ( وربما الهدف السياسى ) لقراءة الإنتاج الأسترالى وتقديمه إلى دائرة الضوء .

وأما أصحاب المواهب الأخرى فى التمثيل والرقص والغناء فإنهم ( يضافون ) إلى المسرحيات المستوردة توفيراً لنفقات استيراد الكومبارس ، أو يشتركون فى مسرحيات هزلية خفيفة لا ترقى إلى مستوى المسرح الجاد . يضاف إلى ذلك أيضاً مجموعة من فرق الهواة تقدم المسرحيات المحلية والعالمية على مسارح متواضعة فى الضواحي .

فالدولة فى أستراليا لا يهملها أن يتقدم المسرح أو يتأخر . الحقيقة أنها تبدو وكأنها لا يهملها أن يتقدم أى شىء أو يتأخر . إنها مفتوحة مثل ( سوق عكاظ ) لكل من يستطيع أن ينتج فى أى مجال بشرط ألا ينتظر تشجيعاً أو عطفاً أو تقديراً من أى لون . منه للجمهور ! !

هذا عن المسرح الأسترالى ، فكان لابد من أن أتجه إلى الجالية العربية . وجدت أمامى خمسين ألف عربى بدون مسرح عربى . بدون سينما عربية . بدون جريدة أو مجلة . بدون أى شىء إلا الذكريات العميقة التى تربطهم ببلادهم .

هذا هو ( الوادى ) الذى قررت أن ( أصرخ ) فيه . . . وصادف قرارى شهر مارس ، شهر الذكرى السنوية لابن مصر العظيم ( سيد درويش ) . كان لابد أن أحتفل بذكرى الحبيب الخالد . ولكن ما الذى كنت أستطيع أن أفعله وأنا لا أعرف أحداً ولا أملك شيئاً ولا أرى أينما وجهت وجهى مجالا للاحتفال بذكرى سيد درويش .

كان هذا هو التحدى الذى واجهنى ، وقد رجبت به . قلت :

سيد درويش هو نقطة البدء ، وسوف أبدأ بتعريف أبناء الجالية العربية بسيد درويس وفن سيد درويش .

ليس عندي مكان أحتفل فيه وليس عندي أسطوانات ولا شرائط ولكني أحفظ أغاني سيد درويش وأعرف تاريخه كأنه تاريخي الشخصي .

قصدت ( الأب بولس الخوري راعي كنيسة سيدة لبنان ) وهو رجل نبيل وأديب ممتاز ، وعرضت عليه أن ألقى محاضرة في ذكرى سيد درويش ، فوافق ورحب وتطوع بأن يدعو بنفسه جمهور المصلين لسماع المحاضرة بعد الصلاة .

ضمنت المكان والجمهور إذن ، وكتبت المحاضرة ، ثم عكفت على تحفيظ زميلي ( فهمي حافظ ورشدي حنا ) مجموعة من أغاني سيد درويش

ولم يكن عندي مكان أستطيع فيه أن أجرى بروفات ، لم يكن من السهل القيام بالبروفات في منزلي لأن ( روائع ) سيد درويش تتحول في أسماع الأجانب إلى ( شوشرة ) نستحق عليها المؤاخذه . بدأنا البروفات في حديقة عامة كنا نقصدها كل مساء بعد أعمالنا ونستمر في الغناء والحفظ والتدريب حتى يوم ١٧ مارس ، فذهبت ومعى زميلاي إلى ( كنيسة سيدة لبنان ) وهناك وجدنا مفاجأة رائعة في انتظارنا ! ! ثلثائة عربي أحضرهم ( الأب بولس الخوري ) لسماع المحاضرة وللاحتفال بذكرى سيد درويش .

كانت المحاضرة شيئاً طريفاً للحاضرين ، وزادتها الأغاني طرافة ، و انتهت المحاضرة ولم ينصرف الجمهور ، بل جلسنا جميعاً في شبه ندوة نتحدث عن سيد درويش ، وعرفني الناس وعرفت أيضاً شخصيات هامة في المحيط العربي مثل ( دكتور ناصح ميرزا ) و ( غالب نصر الدين ) و ( إدموند ملكي ) .



ذکری «سید درویش»



ذکری «سیاه درویش»

فى غمرة سعادتى سألنى ( دكتور ناصح ميرزا ) عن مشروعاتى فى  
أستراليا فقلت له إننى أنوى تكوين فرقة مسرحية لتقديم المسرح العربى ،  
فضحك فيما يشبه الاستخفاف ، وقال إن هذا حلم بعيد التحقيق خصوصاً  
لشخص لم يمض عليه أكثر من شهرين فى أستراليا ، والأفضل أن أنتظر  
بضعة أعوام حتى أعرف البلد والناس . واستشهد فى كلامه بكفاحه هو فى  
تكوين ( الرابطة العربية ) التى أمضى أعواماً حتى تمكن من تكوينها ،  
وأشار إلى الصعوبات الجمة التى يلاقىها فى سبيل تجميع المواطنين العرب  
لأى سبب .

لم تعجبني إجابته ، وصممت على أن أثبت له أننى قادر على تحقيق ما  
يراه مستحيلاً ، وأكدت له أنه سىرى نتيجة عملى فى خلال أشهر . وفى هذه  
الليلة ولدت فى خيالى ( فرقة أضواء القاهرة ) ، وبدأ بعد ذلك أن الظروف  
كانت فى جانبي لأن وظيفتى الجديدة ( ضابط بريد ) كانت وظيفة  
مسائية ( من الثانية ظهراً إلى العاشرة مساءً ) فكانت تعطىنى الراحة الكافية  
والوقت الكافى للتخطيط والتنفيذ .



## ❁ أضواء القاهرة ❁

لم أنم لحظة واحدة في هذه الليلة . .  
الحقيقة أنني نمت وخططت ( كمان ) ، ومع ذلك فإن الأقرب إلى  
الصدق هو أن أقول إنني لم أنم ، فإن آخر ما كان يدور في فكري وأنا  
أتقلب في الفراش هو ذلك التحدى الذى كنت أستعد له . وكان هو أيضاً  
أول ما ملأ ذهني بمجرد استيقاظي .

كان داخلي يغلي ويفور برغم شدة البرودة التى تملأ الجو . ولم يكن  
غليان الغيظ والعجز على أى حال . كان غليان الحماس والانفعال بما أنا  
مقدم على تنفيذه .

كان اليوم التالى لذكرى ( سيد درويش ) إجازة رسمية . وتقابلت مع  
( فهمى ورشدى ) وأخبرتهما أنني ( خلاص ) كونت فرقة ( أضواء  
القاهرة ) وأننى أنوى افتتاح برنامج الفرقة بمسرحية ( سيد درويش ) .

وفى هذه الجلسة نفسها بدأت أوزع الأدوار ، فأعطيت ( رشدى ) دور  
( سيد درويش ) و ( فهمى ) دور ( محمود مرسى ) صديق سيد درويش .  
ولم أعط نفسي دوراً لأتفرغ للإخراج . ولما كانت المسرحية تحتوى على  
( ٣٠ شخصية ) فقد كان الباقى هو ( ٢٨ ممثلاً ) فقط . ! !

كيف كنت أتصور أن الفرقة ستكتمل ؟ أين باقى المشغلين ؟ الميزانية ؟  
الملابس ؟ الديكورات ؟ الموسيقى ؟

ولكنى كنت واثقا بأنه يكفينى أن أبدأ الخطوة الأولى لكى يتم كل  
شئ . من أين واثقى هذه الثقة ؟ على أى أساس بنيتها ؟ لا أدرى . ولكن  
إيمانا غريباً ملاً نفسى بأننى سوف أنجح . كنت كمن يرى الغيب أو من  
يتنبأ به . . .

هكذا كتبت إعلانات - من تكوين ( فرقة أضواء القاهرة المسرحية )  
وأعلنت عن ( ترحيبها ) بكل من بهوى التمثيل والغناء . بل إنى حددت فى  
الإعلانات تاريخ افتتاح الموسم بعد شهرين من هذه البداية .

وعلمت الإعلانات فى كل المطارح العربية مثل ( البيت اللبنانى )  
و ( المركز الإسلامى ) و ( كنيسة سيدة لبنان ) و ( الرابطة العربية ) .

ثم بدأت البروفات فى صالة ( كنيسة سيدة لبنان ) التى أعطانى ( الأب  
بولس الخورى ) تفويضا كاملا باستخدامها فى أى وقت أشاء .

بدأت البروفات وليس معى إلا ( فهمى و بشامى )

بعد يومين حل فى منزلى مصريان سجدلان : ( هدى دهبى )  
و ( سمير فوزى ) مهتماسان شابان بينهما قرابة وثمانية فى الجامعة . وقبل أن  
يبحثا عن عمل عرضت عليهما الانضمام إلى الفرقة فافترسا إلى الفرقة .

بقى إذن ( ٢١ ممثلا ) وبقيت البعثة . . . بسبيله . . . ولكن البعثة نفسها  
هى التى بحثت عنى .

فتاة مصرية جميلة مهمة اسمها ( برناديت مهران ) سمعت بذلك  
النشاط الغريب الذى يجرى فى ( كنيسة سيدة لبنان ) فتقدمت إلى ( الأب



مهر دیا « سیا، درویش »

بولس الخورى) تطلب منه (مساعدتها) على انضمامها إلى الفرقة فأحالها (الأب بولس) إلى .

كانت (برناديت) موهوبة في التمثيل والغناء والرقص وحضور البديهة والحفظ والقدرة على التعبير . كانت لقية ثمينة بكل معنى الكلمة . وبانضمام (برناديت) زالت أكبر العقبات التي واجهتني . وبعدها تقاطر الأعضاء .

جاءني ابنا العم (توني شهلوب) و(إلياس شهلوب) . ثم جاءتني فرقة موسيقية كاملة ، القائد فيها مصرى إيطالى اسمه (ريكاردو ماتسا) وكان قد سبقني إلى أستراليا بسنوات ، ونجح في فرض اسمه ومواهبه في الإذاعة والتلفزيون ، ثم سمع عن الفرقة المصرية الوليدة فأقبل سعيداً يعرض خدماته .

لم يمض أسبوعان حتى صار معى ممثلون أكثر مما أريد . ولم يغيب عن ذهني أنهم جميعاً حديثو العهد بالعمل المسرحى وما يتطلبه من جهد ومشقة ، وأنى قد أفاجأ ببعضهم يتخلى عن الفرقة في منتصف الطريق بعد أن يتضح له أن الحكاية ليست (لعباً) كما كان يتصور . ولم يكن عندى ما أستطيع أن ألزم به أحداً على البقاء معى . لم أكن أمنح مرتبات (طبعاً) ، وبالتالي لم أكن أستطيع أن أفرض عقوبات . وكان العضوان المؤسسان (فهمسى ورشدى) قد تكاسلا عن حضور البروفات ، ثم جاء وقت اختفى فيه (رشدى) تماماً ، وأما (فهمسى) فكان يحضر البروفة بدون أن يتذكر كلمة واحدة مما قمنا به في البروفة السابقة .

أمام ذلك لجأت إلى شيء هدتنى إليه ظروف العمل . أشعرت كل مثل



مسرحية « سيد درويش »

وكل ممثلة بأنني أستطيع أن أستغني عنه أو عنها في أى وقت ، فلجات إلى تغيير الأدوار باستمرار حتى يشعر كل عضو بأن الفرقة تستطيع أن تستمر بدونيه ، وأنه ( هو ) الخاسر إذا تكاسل أو تهاون .

ووضعت نظاماً يقضى بأن من يتغيب برفقة ( واحدة ) يخرج من الفرقة ، ونجحت هذه الطريقة نجاحاً رائعاً ، وتماسك أعضاء الفرقة بشكل تحسدنا عليه أى فرقة مسرحية في القاهرة .

وبعد أن اختفى ( رشدى ) أعطيت ( هنرى دبوس ) دور ( سيد درويش ) ولكنه لم ينجح فيه . كان هنرى يملك صوتاً جميلاً . وذهناً



المرات . . . كل حركة أدتها عشرات المرات . والأغاني ددتها ورددتها حتى  
نفس وبت ، في النهاية أنني قد أتحوّل شخصياً إلى مطرب .

وكانت هناك عشرات عشرين في مصر ولكنهم لا يقرآن ولا يكتبون  
العربية . فكنيت أكتب لمن الأدوار بالحروف اللاتينية .

كانت هذه عقبات ( فنية ) ، وكان التغلب عليها ممكناً مع الإخلاص  
والجهد ، ولكن كانت هناك عقبات أخرى لم يكن التغلب عليها ممكناً  
أو بالأقل . كانت هناك أسئلة تدور في المحيط العربي عن ( حقيقة )  
ما أفعله . . . عن هدف من ذلك ، النشادر . . . عن شخصياً . . . وكانت الأسئلة  
تصل إلى فلا أهتم بالرد عليها . كنت واثقاً من أن النتيجة سوف ترد بنفسها  
على كل ما يدور من أسئلة .

وكانت البروفات مزيجاً من الجهد والأمل والضحك أيضاً ، فما أكثر  
الطرائف التي كانت تحدث . من ذلك مثلاً أن ( فهمي ) بعد بروفات شهر  
كامل اتضح عجزه الكامل عن حفظ جملة واحدة تزيد على أربع كلمات .  
مرة بعد مرة وبروفة بعد بروفة ولا فائدة . في كل مرة يبدو وكأنه غريب  
عن كل ما يحدث في البروفة . .

عرضت عليه أن يترك الدور مادام لا يستطيع أن يحفظه ، ولكنه تمسك  
بالدور بشكل مؤثر . فركبت له الدور وبحشت عن طريقة أعالج بها هذه المشكلة .  
ثم وجدت الطريقة . . . كان دوره يتطلب منه أن يمسك مصحفاً في يده  
دول الوقت يفتحه من وقت لآخر ويقرأ فيه ، فكتبت له دوره في نوتة  
صغيرة واستبدلتها بالمصحف على أن يقرأ دوره من النوتة باستمرار وكأنه  
يقرأ القرآن .

ومن الطرائف ما حدث للزميل ( توني شلهوب ) . كان ( توني ) شاباً مرحاً ضاحكاً ساخراً باستمرار . وقد تصورت في البداية أنه من المستحيل أن أضمن استمرار وجود توني في الفرقة ، لأن تصرفاته لم تكن توحى بأى جدية . ولكنى اكتشفت فيه بعد ذلك رقة شعور جميلة وإخلاصاً وحباً للعمل والتعاون . كان قلباً مصرياً نقياً يرحب وتدمع عيناه لكل ما يذكره بمصر . وكان قد هاجر إلى أستراليا وترك عائلته في مصر على أن يشتغل ويدخر ما يضمن له أن يستقبل عائلته عند حضورها بشكل معقول . ولكنه لم ينجح في شيء ، وكان ينتقل من عمل إلى عمل ومن منزل إلى منزل . كان طفلاً كبيراً نقي القلب . وعندما انضم إلى ( أعضاء القاهرة ) وجد فيها العائلة التي تركها في مصر ، فأقبل عليها بكل وجدانه وشبابه وحنينه إلى مصر ، وعندما سمع أغاني ( سيد درويش ) لأول مرة سحرته وتغلغل في أعماقه فظل يرددّها دون أن يستطيع أن يكف عن الغناء . كان يشكو لي من أنه لا يستطيع أن يمنع نفسه من الغناء . كان يغنى في البيت ، في الشارع ، في العمل ، في البروفة . وكان الناس ينظرون إليه وهو يردد هذه الأصوات ( الغريبة ) ، وكانت نظرات الناس تخجله ولكنه لا يستطيع أن يكف عن ترديد ( الحلوة قامت تعجن في البدرية . والديك بيدن كوكو في الفجرية ) .

طالما ضحكنا لهذه الظاهرة دون أن نتصور أنها سوف تنقلب إلى جد أو سوف تتسبب في كارثة حتى جاء اليوم الذي كان يقف فيه في عمله في ( مصانع فورد ) وهو يغنى ( زوروني كل سنة مرة ) ، وإذا به يفاجأ برئيسه يسلمه خطاباً مغلقاً ، وفي الخطاب وجد قراراً بالفصل لأنه ( يسبب

شوشرة وأصواتاً مزعجة ) أثناء العمل .

خسر ( تونى ) وظيفته من أجل أغاى ( سيد درويش ) وبدأ يبحث عن وظيفة جديدة . كان يبحث بالنهار ويواصل الحضور إلى البروفات بالليل . والغريب أنه وهو يبحث عن الوظيفة الجديدة كان يغنى ( سالمة يا سلامة رحنا وجينا بالسلامة ) .

هذا الحنين وهذا الحب وهذه الطاقة الشابة الرائعة ظهرت فى أجمل صورة فى كل ما قام به ( تونى ) فى فرقة أضواء القاهرة .

أما ( إلياس شلهوب ) ابن عمه فكان أكبر منى سنًا وقد جعله ذلك أكبر أعضاء الفرقة سنًا . وكان منظره - ولا يزال طبعاً - يوحى بالجدية والصرامة والخبرة . ولكن تصرفاته كانت تحير الألباب ! !

كان يتطوع لأداء أى عمل أطلبه من أحد . ثم لا يقوم بهذا العمل . ثم يعتذر ثم يتطوع من جديد ، ثم يعتذر ، وهكذا .

حيرنى أمره كثيراً ، ولكنى ضحكت فى النهاية عندما عرفت ( سره ) الحقيقى . . الخجل . كان إلياس خجولاً جداً وكانت نيته طيبة دائماً فى كل ما كان يعرضه ثم كان خجوله يغلبه فيعجز عن أدائه . وكان وراء هذا الخجل النية الطيبة والقلب الطيب والحب للفرقة ولباقى الزملاء ، ففقت منه بأن يساعدنى - فى السر - وعهدت إليه بإدارة المسرح .

واقترب موعد الافتتاح . . ولم يكن فى نيتى أن أتخرج عنه يوماً واحداً . وكان المتفق عليه أن نقدم المسرحية فى صالة ( كنيسة سيدة لبنان ) بعد تحويلها إلى مسرح لنوفر إيجار المسرح ، ولكننا فوجئنا بأحداث غريبة مؤلة تحدث فى الكنيسة . كان ( للأب بولس الخورى ) رعية كبيرة



مسرحية «سياء درويش»

من الشبان والشابات يباشرهم ويرعاهم جميعاً كأنهم أولاده . . وكانت أولى المفاجآت المؤلمة وفاة شابة من هؤلاء في حادث سيارة . وبعدها بأيام توفي شاب في حادث سيارة . وبعده بأسبوع توفي شاب آخر في حادث سيارة . ملأ الحزن الكنيسة وقلب ( الأب بولس الخوري ) وقلوبنا جميعاً . لم يعد في إمكاننا أن نقيم مسرحاً في الكنيسة الحزينة . استأجرنا مسرحاً آخر في ( كنيسة جميع الأديان ) التي يشرف عليها القس الأسترالي ( نورمان لو ) . . وهو رجل مهرج مهزار يرفض أن يناديه أحد بكلمة ( أبي ) وقيم حفلات تعارف مستمرة بين أبناء الأوطان المختلفة .

كان ( نورمان لو ) رجلاً غريباً لا يثير الاحترام ولا الحب ، ولكن مسرحه كان مسرحاً ممتازاً كاملاً من جميع النواحي . وبعد أن استأجرناه منه لمدة أسبوع قمنا بالبروفات النهائية على هذا المسرح حتى يحفظ الممثلون الحركة على خشبة المسرح الجديد . .

وطبعنا التذاكر والبروجرامات وحددنا ثمن التذكرة ( دولاراً ) ، ولكننا لم نكتب السعر على التذكرة حتى لا نخضع للضرائب ، بل كتبنا على التذاكر ( الدخول بالتبرع ) لتفادي مشاكل لا نقدر عليها . وبدأنا توزيع التذاكر قبل الافتتاح بأسبوع ، فأعطينا كل من نعرفه مجموعة من التذاكر لتوزيعها . وكانت النتيجة طيبة ، بل أكثر من طيبة مما كنا نتوقع .

ثم جاء أخيراً اليوم الموعود . يوم الافتتاح وذهبنا جميعاً إلى المسرح من الصباح الباكر وقدمنا بروفة كاملة بالملابس والديكورات والإكسسوار . وبعد البروفة قسمت العمل الإداري على ( أصدقاء الفرقة ) ، فخصصت أربعة منهم للوقوف في الصلاة وإرشاد المتفرجين إلى مقاعدهم ، ثم أوقفت على الباب الزميل ( جورج فريد ) ووضعت معه كمية إضافية من التذاكر في حالة حضور أحد بدون تذاكر .

وفي المساء فاجأني الطبيعة مفاجأة لم أكن أتوقعها . انهمر المطر بشكل مخيف مصحوباً برعد وبرق ، وتحولت الشوارع إلى بحار هائجة تحت تأثير الطبيعة الغاضبة ، وضعت يدي على قلبي وقلت إنه من المستحيل أن يحضر أحد في هذا الجو المخيف . ولكني كنت واهماً جداً لحسن الحظ .

سرعان ما ملأت العربات كل الشوارع المؤدية إلى ( كنيسة جميع

الأديان) ، وامتلات الصلاة وجاءنى جورج فريد يبكى غيظاً لأنه لا يستطيع صد هجوم الجمهور عليه بعد أن باع كل التذاكر التى أعطيته إياها . ما أبدع هذا ! ،

أعطيته كمية أخرى من التذاكر ، وأرسلت معه زميلين آخرين لبيعنا عن كراسى إضافية فى كل حجرات الكنيسة . ووضعنا الكراسى الزائدة فى الممرات الخالية حتى لم يعد فى الصلاة موضع لقدم ، وتحولت الصلاة الهادئة إلى صالة سينا فى أحد أحياء القاهرة الشعبية .

من أجهزة التسجيل تتصاعد الأغاني المصرية ، ومن البوفيه تتصاعد رائحة ( الطعمية ) فقد عهدت إلى ( أم برناديت ) بالإشراف على صنع الفول والطعمية وعمل سندوتشات وبيعها فى البوفيه استكمالاً للجو الشعبى المصرى . وقد نجحت فكرة البوفيه نجاحاً بديعاً وبيع السندوتش الصغير الذى يحتوى على قرص طعمية واحد بمبلغ ( ٦٠ سنتاً ) .

ووسط هذه الحرارة وهذا الحماس بدأنا الحفل ، فقدمنا تابلوه ( الوطن العربى ) وهو النشيد الذى وضعه ( محمد عبد الوهاب ) ، ثم تابلوه ( عدوية ) من ألحان ( محمد الموجى ) ، وتابلوه ( الجارسونات ) من ألحان خالد الذكر ( سيد درويش ) وبعد هذه التابلوهات الغنائية الراقصة قدمنا مسرحية ( سيد درويش ) .

وقد نجحنا نجاحاً سوف أظل إلى آخر عمرى أتذكره وأتدفاً به . . كان التصفيق يقاطعنا طول الوقت ، والضحك يتعالى أمام كل جملة مرحة ، وكأننا فى مسرح ( نجيب الريحانى ) ، والتجاوب معنا يشعرنا بأننا فى قلب القاهرة ، وملأت السعادة قلوبنا نحن الممثلين الجدد ، وكان من

المستحيل الفصل بين الجمهور والممثلين لشدة الاندماج والتجاوب .  
 ووسط هذا النجاح حدثت عدة طرائف . .

كنت قد عهديت إلى ( إلياس شلهوب ) بالميكروفون ليعلن عن كل  
 شيء مقدمه ، واتفقت معه على أن يعلن عن وجود ( سندوتشات الفول  
 والطعمية ) بعد الفصل الأول من المسرحية .

ونفذ ( إلياس ) الاتفاق ، وأعلن عن الفول والطعمية في الموعد المحدد ،  
 وذهب الجمهور إلى البوفيه فلم يجد شيئاً . . كانت رائحة الطعمية قد جذبت  
 كل من شمه قبل أن يبدأ الحفل ، وكانت النتيجة أن كل ما بالبوفيه نفذ  
 قبل الإعلان عنه .

وأما ( فهمي حافظ ) فقد أثبتت مفاجآته الطريفة أنها أكبر من ذكائي .  
 كنت أتصور أنني ( ضمنت ) بعد أن كتبت له دوره في نوتة وسمحت له بأن  
 ( يقرأ ) الدور من النوتة أثناء التمثيل .

ولكنه كان يفتح النوتة ويردد حواراً من الفصل الثاني في حين أننا في  
 الفصل الأول ، أو يردد حواراً من الفصل الأول ونحن في الفصل الرابع حتى  
 بدا وكأنه يعيش في مسرحية أخرى . وحتى كاد يحدث لنا بلبلة غريبة على  
 المسرح لولا ما كان يسود العرض كله من روح طيبة .

ثم كان دوره يتطلب منه أن يحمل إبريقاً مليئاً بالشاي ويوزعه على  
 الممثلين في أحد المشاهد . وقد حرصت على أن أملأ له الإبريق بنفسى بين  
 الكواليس حتى لا يحدث خطأ . ومع ذلك فقد ظهر على المسرح والإبريق  
 خال تماماً من الشاي واضطر الممثلون أن ( يتظاهروا ) بأنهم يشربون  
 الشاي . ولكن أين ذهب الشاي الذي ملأت به الإبريق ؟ شربه ( فهمي )

أثناء فترات الاستراحة حتى يبقى منتبهاً ولا يكبس عليه النوم ! !  
 وجاء موقف بينه وبينى على المسرح أو بين ( محمود مرسى ) و ( سيد درويش ) وكان الموقف يقضى بأن يخرج فهمى من المسرح ويتركنى بمفردى على المسرح لكى أغنى ( زورنى كل سنة مرة ) ، ليس ذلك فقط بل إن خروجه كان إشارة لرجال الإضاءة بتخفيض الإضاءة على المسرح لإعطاء الجو المناسب للأغنية العاطفية .

وبدأ الموقف على ما يرام . وانهى فهمى من دوره وقال : ( تصبح على خير يا شيخ سيد ) ولكنه لم يخرج من المسرح . وقف جامداً فى مكانه وقد نسى البروفات العديدة التى تدربنا فيها على هذا المشهد . همست له بالخروج . . . اخرج يا فهمى . . اخرج . . ولم يخرج . تصلب فى مكانه ولم يتحرك . واضطرت أن أهمس لرجال الإضاءة لتخفيض الإضاءة . وأكملت المشهد العاطفى ، فبكيت وغنيت وهو واقف بجانبى إلى آخر الفصل ، وبين الكواليس أمسكت بتلابيبه وسألته عن السر فى عدم خروجه . فأجاب فى براءة كاملة بأنه كان يعجب بأدائى للمشهد الأخير . ولذلك وقف بجانبى ليشاهدنى عن قرب ! !

كان لابد أن تحدث هذه الأخطاء الطريفة فى عمل هو الأول من نوعه فى أستراليا ومع أشخاص يقفون على المسرح للمرة الأولى فى حياتهم . وكان النجاح رائعاً . وفى الختام غنينا جميعاً النشيد المصرى الخالد ( بلادى بلادى ) فألهبنا حماس الجماهير التى وقفت تردد النشيد معنا والدموع تملأ عيونها . .

كانت ليلة رائعة ومجزية أيضاً ، وكان نجاح ( أضواء القاهرة ) شيئاً

انفجر كالقنبلة في المحيط العربي في ( ملبورن ) وكان ذلك النجاح هو الرد الحاسم الجميل على كل ما كان يدور من أسئلة عنى وعن فرقتى .

وأصبحنا ( نجومياً ) يستوقفنا من يعرفنا في الشوارع ويعبر لنا عن إعجابه وتقديره لنشاطنا . واستمر ذلك الحلم الجميل أسبوعاً ، وتلقفنا آلاف التهاني من الكثيرين . وكان أجمل هذه التهاني وأشدّها تأثيراً في نفسى تهنئة ( دكتور ناصح ميرزا ) الذى اعتذر لى عن استخفافه السابق ، وقال إن ما حققته في شهرين شيء لا يمكن وصفه إلا بأنه معجزة . وجدته ( جنتلماناً ) مصرّاً على إعطاء الفضل لأصحابه . بل إنه دعانى وفرقتى إلى أول اجتماع عقده ( الرابطة العربية ) بعد ذلك وقدمنا إلى الجميع ذاكرة القصة بحذافيرها . ثم انتهى الحلم ووزعت الأرباح على كل من ساهم في نشاط الفرقة . وبدأت أستعد للمسرحية التالية ( روض الفرج ) .

أسندت دور البطلة إلى ( برناديت ) التى كانت قد نجحت نجاحاً ساحقاً في ( سيد درويش ) واكتسبت شعبية كبيرة ، ولكن ظهر أن هذا النجاح كان أكبر من سنّها واحتمالها فقد ملأها الغرور . وبدأت تعاملنا ( نحن ) على أنها نجمة كبيرة . بدأت تتخلف عن البروفات ، وإذا حضرت بروفة تطلب أن تؤدى دورها بسرعة . ثم تخرج من البروفة .

كلام فارغ طبعاً . هذا شيء يهدد كيان الفرقة ، وإذا تركت لها الحبل على الغارب فإن ذلك سوف يشجع غيرها على الاستهتار بالمواعيد والبروفات . ومع ذلك ماذا أستطيع أن أفعل ؟ ليس من السهل أن أجد في يوم وليلة ممثلة أخرى لها مواهب ( برناديت ) وجاذبيتها المسرحية . أرسلت لها ( تونى وإلياس ) وكانا قد أصبحا جزءاً عزيزاً من نفسى ومحلّا لثقتى الكاملة . وقد نصحتها

الاثنان بأن تواصل العمل في جدية واهتمام فأصغت إليهما ثم وعدتهما بالانتظام . ورغم ذلك تخلفت عن البروفة التالية .  
وجدتني في موقف لا يحتمل التردد فأعلنت الاستغناء عن ( برناديت مهران ) بطلة الفرقة وأكملت البروفة بدونها لحين العثور على ممثلة أخرى .  
وبعد البروفة سألتني ( توني وإلياس ) عما أنوي أن أفعل بعد خروج ( برناديت ) من الفرقة ؟ فأجبتهما بأن الله وحده يعلم . ولكن الفرقة سوف تستمر وسوف نعثر على بطلة أخرى . .  
واستمرت البروفات وذلك السؤال يلح على في كل لحظة . أين أجد البطلة التي تقوم ببطولة مسرحية ( روض الفرج ) ؟



## ❁ ضابط بريد ❁

مع الأيام الأولى لتكوين ( فرقة أضواء القاهرة ) تسلمت وظيفتي الجديدة . . .

أصبحت ( ضابط بريد ) ، ويجب أن يكون مفهوماً هنا أن كلمة ( ضابط ) لا تعني ما تعنيه عندنا فما هي إلا الترجمة الحرفية لكلمة ( مكتبي ) أو ( متعلق بالمكتب ) فهذه الكلمة الجميلة ( ضابط ) يضعها الأستراليون بجانب كل عمل إداري أو مكتبي .

ووجدت الوظيفة الجديدة تتصف بصفات كثيرة طيبة ، أولى هذه الصفات أن العمل فيها كان في شارع من شوارع المدينة وليس في إحدى الضواحي مثل ( مخازن ج . ج كولز ) وهذه الصفة جعلت الوظيفة أكثر إنسانية وجعلتني أطمئن إليها . .

الصفة الثانية أن العمل مسائي ( من الثانية ظهراً إلى العاشرة مساءً ) وهو موعد معقول يمنحني النوم بارتياح والحياة بارتياح والتحرك بحرية والبحث عن وظيفة مناسبة في فترة الصباح . .

ثم كانت هذه الوظيفة حكومية فلم أكن عاملاً هذه المرة . ارتقيت خطوة . لم أصر ( ضابطاً ) طبعاً ولكنني صرت شيئاً مثل ( الأفندي ) ، هذا



المنزل رقم ٤٠٥ شارع لايجون

ما شعرت به في خطواتي الأولى في مصلحة البريد .  
ومع ذلك لم أكن مخلصاً تماماً لهذه الوظيفة . لم تكن هي الوظيفة المثالية  
التي أحلم بأن أستقر فيها ، فإن مرتبتها لم يكن يزيد كثيراً على مرتبي في المخازن .  
كانت بالنسبة لي وظيفة مؤقتة . مرحلة انتقال . عمل خفيف أؤديه حتى أجد  
الوظيفة التي تناسبني حقاً .

في اليوم الأول ذهبت في الموعد المحدد ، واتضح لي أنني لم أعين بمفردي  
بل إنني واحد من دفعة كاملة ( ٥٠ ) موظفاً جديداً . واستقبلنا موظف مهذب  
وقال لنا أول جملة إنسانية سمعتها في مجال العمل في أستراليا ! قال : تفضاوا



### في حدائق ملبورن

بالجلوس . . . جلست وأنا أدعو الله أن يكون ( الجلوس ) شيئاً طبيعياً في هذا المكان بعد أن ( وقفت ) شهرين كاملين في ( مخازن ج . ج كولز ) .  
وبدأنا ذلك الموظف ببنسعة توجيهات خاصة بمواعيد الحضور والانصراف ونظام العمل ، ثم طلب منا أن نقسم يمين الولاء لصاحبة الجلالة ملكة إنجلترا أقسمنا وتعهدنا عهداً مقدساً - بالألا نقشي أسرار العمل . وبذلك انتهت مهمة هذا الموظف معنا . ثم حضر موظف آخر ليلقي علينا محاضرة عن أهمية البريد في حياة الأمم والأفراد . . .  
استغرقت المحاضرة ساعتين ، والواقع أن المحاضر قال كلاماً عميقاً مؤثراً

ما كان أجدرنا أن نتأثر به وأن نحس بخطورة ما نحن مقدمون عليه ، لولا أن المحاضرة لقيت منا آذاناً لاهية ، كما بدا واضحاً في وجوه الزملاء .

وباتهاء المحاضرة صرنا (ضباطاً) في مصلحة البريد في حكومة أستراليا . وتركنا المحاضر إلى موظف ثالث قادنا في رحلة استطلاعية لكي نلم بالعمليات العديدة المعقدة التي يمر بها الخطاب حتى يصل إلى صاحبه . من حجرة إلى حجرة ، ومن ما كينة إلى أخرى ، وقائدنا يشرح لنا بدقة وسرعة ما نراه أمامنا حتى وصلنا إلى صالة المبتدئين . . وجدنا صالة لا أول لها ولا آخر كأنها ميدان عام ، مليئة بالترابيزات الطويلة التي يجلس حولها مئات الموظفين وهم يعملون ويضحكون ويصدرون ضجة تصم الآذان . . وكان هذا المنظر وحده كفيلاً بترع أي شك من أننا في مكان حكومي حقاً .

أجلسنا رئيسنا الجديد حول ترابيزة خالية ، في وسطها مجرى مرتفع قليلاً متصل في بدايته بفوهة دولاب كبير ، ثم أخبرنا الرئيس أن الخطابات سوف تخرج من فوهة الدولاب وتمر في المجرى ، وعلينا أن نفرزها حسب الأحجام . فنضع المستطيل مع المستطيل والمربع مع المربع وهكذا . . عمل سهل . وبدأت الخطابات تنهمر علينا . ونحن نتخاطفها ونرتبها في جهد هو باللعب أشبه . .

مضى الوقت في هذا التهريج ، وجاء وقت تناول الشاي ، لم يكن بالمجان هنا ، كان سعر الفنجان ( ٢ سنت ) ومعه بسكويت متواضع القطعة منه سعرها ( سنت واحد ) ويَعده جاءت ( ساعة ) لتناول العشاء . ساعة كاملة وليس نصف ساعة كما كان النظام في المخازن ، ولاحظت أن الفوضى تسود كل شيء ، وأن الموظفين يهربون بالساعات دون أن يتمكن أحد من مراقبتهم ،

حتى لقد تعجبت كيف تصل الخطابات في موعدها بالرغم من هذه الفوضى .  
ثم جاءت فترة الشاي الثانية وبعدها مضى الوقت حتى شارفت الساعة التاسعة مساء وإذا بنا ننتقل إلى موقع آخر أمام آلات تخرج منها الخطابات بسرعة الصوت ، وكان علينا أن نرتب هذه الخطابات لا حسب الحجم بل حسب العنوان المتجه إليه الخطاب . .

كان عملاً شاقاً ، وكانت الخطابات تتكاثر بسرعة مخيفة ، وكان علينا أن نقفز أمام الآلة كالمجانين حتى نتمكن من التوافق مع سرعة لقطها للخطابات .

ساعة واحدة أمام هذه الآلة الجهنمية ولكنها كانت تعادل تعب اليوم كله واتضح بعد ذلك أن العمل أمام هذه الآلة يومي وأنه لا مهرب منها ، فكانت هذه هي الساعة التي نخشاها جميعاً . .

ولكني تعودت في الأيام التالية العمل بسرعة أمام هذه الآلة والعمل ببطء وعبث على التراييزة المستطيلة . وكانت تمر أمامي آلاف الخطابات الداهية إلى كل أركان الدنيا .

تعودت كل شيء وأصبح بإمكانى أن أترك العمل ساعة على الأقل كل يوم دون أن يشعر بي أحد ، أو أن أتمارض فأذهب إلى عيادة الطبيب الذي وجدته إنجليزياً عاش في مصر فترة طويلة ، فكان يحلوه دائماً أن يحدثني عنها وعن ذكرياته فيها . وكونت علاقات كثيرة كان أهمها صداقة مع فنان شاب من ( يوغوسلافيا ) وكان سائحاً على وجوده في أستراليا ويحلم باليوم الذي يعود فيه إلى وطنه . كان فناناً رقيق الحس والشعور ، وكان وجهه صورة طبق الأصل من تمثال ( دافيد ) ليكل أنجلوحتى إنني كنت أناديه ( دافيد ) بعد

أن نسيت اسمه الأصلي .

وتصادقت مع شابين من اليونان لم يكنا يعرفان كلمة إنجليزية واحدة . وقد لجآ إلى لتوضيح كل شيء لهما ، وكانت أثناسيم موهوما بالإشارة ، وقد أحببتهما لبساطتهما . ولم أغضب عندما عجزا عن حفظ اسمي ، وفضلا أن يناديانى باسم ( صديق ) ، ولاحظت تشابها كبيرا بين طابعهما وادبانهما .

ولاحظت عموماً أن المستوى الاجتماعي في مصالحة البريد أرق كثيراً منه في مخازن ج . ج كولز . وقد فهمت فيما بعد أن زملائي في المخازن كانوا حثالة الأمم ممن يعجزون عن أى شيء إلا العمل اليائس البحث . أما في مصلحة البريد فالمفروض في الموجودين أنهم متعلمون .

وجاءت نهاية الأسبوع وتسلمت أول مرتب لى من خدمة أستراليا . ثم تلاه أسبوع آخر . ولم يكن فى نيتى ( الاستقرار ) فى مصلحة البريد . ولكنى استنمت إلى ما فيها من راحة وفوضى وتهريج ومواعيد مريحة . فتكاسلت عن البحث عن وظيفة أخرى لولا صديقتى المخلصة ( مسز نينا كروناس ) صاحبة المنزل الذى كنت أسكن فيه .

كانت ( نينا كروناس ) امرأة بيضاء مديدة القامة ذات ملامح متناسقة واضحة ، وكان كل ما فيها يعجبني . إذ دانت ذكية مرححة ذات طبيعة عملية ، وكانت تتحمس لدفاحي وتقدمي كما تتحمس لحياتها الشخصية . كانت تتمتع بقباب كبير فى الواقع . وقد سرفت منها أنها من ( ليتوانيا ) وأنها عاشت الحرب العالمية الثانية ورأت بعينها أهوال الحرب وآلاف الجثث والمنازل المحترقة وعاصرت الدمار والخراب . ثم هربت إلى أستراليا وهى لا تعرف كلمة واحدة من الإنجليزية واشتغلت عاملة صغيرة ،



مع « بادی » فی شوارع ملبورن





في حديقة فيتزروي

في ذهابه وإيابه .

كنت سعيداً بذلك المنزل متفريغاً إلى الدفء في مجال الفن ومجال العمل . ومع ذلك كنت معرضاً لأن أترك هذا المنزل بعد سكون فيه بفترة قصيرة وذلك بسبب صديقتي الأولى في أستراليا ( بادي ) . وقد عرفت بادي في أول منزل سكنت فيه في تلك الأيام الصعبة الأولى التي كنت أجد فيها كل شيء غريباً ومجرباً . حدثت أشكو من البرد الذي فاجأني وأذهلني ولم أعرف طريقة أو تدبير بها منه . ولم تذكر لي صاحبة المنزل ( مسز كيرلي ) شيئاً عن باقي سكان المنزل فلم أعرف شيئاً . ولكني كنت ألمح فتاة حسنة تروح وتجيء في المنزل وكنت أظن أنها ابنة ( مسز كيرلي ) .

ثم فوجئت ذات يوم بهذه الفتاة الحسنة تطرق باب حجرتي وتستأذن في الدخول . أذنت لها وأنا في غاية الدهشة لجرأتها ، ولكنها عرفتني بنفسها في لطف وقالت : إنها عرفت من ( مسز كيرلي ) أنني أشكو من البرد ، وأنها لذلك أحضرت ( قربة ) صغيرة لكي أملأها بالماء الساخن وأضعها بجانبى وأنا نائم . كانت لفظة إنسانية كريمة من هذه الحسنة الغريبة . وكانت بداية الصداقة بيننا . وتعددت بعد ذلك أن تنضم إلى حجرتي كل يوم بمجرد عودتي من العمل وتلازمي حتى وقت متأخر من الليل . وعرفت أنها ( أيرلندية ) الأصل ، ولكنها سحبات عمل الجنسية الأسترالية . وأنها تعمل في شركة تاكسيات فهي تجلس بجوار التليفون لتتلقى طلبات التاكسيات ، أي طلبات الذين يريدون تاكسيات . وبعد أيام التعارف الأولى بدأت ( بادي ) تذكر لي قصصاً غريبة عن

رجال يضايقونها وتستفزني للوقوف أمام هؤلاء الرجال . وإذا خرجنا معا كانت تتعمد أن تجعلني أنفق كل ما قد يكون معي . وبدأت أرى وراء جمالها ورقتها جشعاً ورغبة في التسلط عليّ ، ووجدتها لا تترك لي دقيقة فراغ واحدة بل تأخذ وقتي كله ، فتركت منزل ( مسز كيرلي ) إلى منزل آخر صاحبه عجوز شمطاء مجنونة سليطة اللسان ، والمنزل نفسه قدر مهدم ، ونافذة حجرتي مكسورة ، كان الهواء الثلجي يدخلها كل ليلة دون استئذان . ولكن ( بادي ) تصورت أنني انتقلت لأحتفظ بصداقتنا بعيداً عن أعين الرقباء ، فما كنت أصل إلى المنزل يوماً إلا وأجدتها في انتظاري . . . كنت في هذه الأيام أقرأ الرموز الأولى لأستراليا ، وأكافح باستماتة في سبيل ضمان حياتي يوماً بيوم ، فوجدت ( بادي ) عبثاً ثقیلاً . ولم أرض أن أتحول معها إلى المهاجر المجنون الذي يصرف ما في الجيب ليأتيه ما في الغيب . خصوصاً بعد أن فوجئت بها يوماً تطلب مني ( ٩٠ دولاراً ) قرضاً . غادرت ذلك المنزل إلى منزل ( مسز نينا كروناس ) .

وتبعني ( بادي ) أيضاً ، تلاحقني بالزيارات كل يوم ، ولا تترك لي ساعة واحدة أفرغ فيها إلى نفسي . وكنت ألمح الغضب المهدب في عيني ( مسز كروناس ) حتى حدث مرة أن حضرت ( بادي ) إلى البيت في أثناء غيابي . وأخبرتها « مسز كروناس » بأنني غير موجود . وعند ذلك طلبت أن تنتظرن في حجرتي حتى أعود . فرفضت ( مسز كروناس ) . وعند ذلك هددتها « بادي » أن تدخل بقوة البوليس ! !

وقامت مشادة بين الاثنين . وفي الصباح أخبرتني ( مسز كروناس » بما حدث ونخبرتني بين البقاء في المنزل وبين استقبال « بادي » .

فاخترت المنزل وراحة البال واختفت « بادي » من حياتي .  
 بقيت في مصلحة البريد شهراً كنت خلاله سعيداً بكل شيء ،  
 راضياً عن الدنيا وما فيها ، وتعددت أن أخرج من المنزل قبل موعد العمل  
 بساعات لأستكشف مدينة « ملبورن » التي لم تساعدني الظروف السابقة  
 على معرفتها .

مشيت في الشوارع التي كنت أخشى قديماً أن أفقد نفسي بعد كل  
 خطوة فيها .

مشيت الآن باطمئنان العارف الواصل بعد أن حفظت جغرافية  
 « ملبورن » وأعجبنى النظام الهندسي العجيب الذي خططت الشوارع  
 على أساسه . . فالمدينة كلها مقسمة إلى شوارع طولية وشوارع عرضية ،  
 لذلك فإنه من أسهل الأمور أن يجد الإنسان العنوان الذي يبحث عنه  
 طالما كان يعرف أنه يقع عند ناصية كذا وكذا . . ثم رأيت في الشوارع  
 العرضية ظاهرة غريبة لم أرها من قبل ، وهي أن كل شارع هو في الحقيقة  
 شارعان متوازيان . واحد واسع والثاني ضيق ، أوأضيق . وكلاهما له نفس  
 الاسم باستثناء كلمة الكبير والصغير مثل شارع كولنز الصغير وشارع  
 كولنز الكبير .

كأن الشارع الصغير « مقدمة » للكبير . .

زرت المتاحف والمعارض والحدائق العامة الرائعة التي تمتد وتتسع  
 كالغابات وتسرى في أوصال المدينة كالشرايين . ورأيت في المعارض  
 لوحات « أصلية » للفنانين العظام « فان جوخ - جوجان - سيزان . . .  
 إلخ . . » .

وفى متحف الحضارة رأيت نماذج مصغرة لكل شيء فى قارة أستراليا .  
 رأيت طيوراً وحيوانات وحشرات لا توجد فى أى مكان فى الدنيا .  
 وطففت بالمحلات التجارية التى يدور رأس الإنسان فيها لكثرة  
 المعروضات وروعيتها ، ورأيت محلات يكاد الواحد منها أن يكون مدينة  
 مستقلة مثل محلات « ماير » التى تشغل مساحات هائلة على امتداد ثلاثة  
 شوارع ، والتى يشاع عنها أن المسئولين فيها يتحدثون أى زبون أن يدخلها  
 ويخرج بدون شراء شيء أو أن يطلب شيئاً لا يجده ، فالمحلات تعرض بجوار  
 منتجات أستراليا منتجات من جميع أقطار العالم . . ويستطيع الزبون  
 أن يشتري كل شيء . . من ( الإبرة ) إلى « الصاروخ » بالتقسيط أو  
 بالدفع الفورى . وإمعاناً فى اجتذاب الزبائن يعتمد المسئولون فى « ماير »  
 إلى اختيار سلعة كل يوم يقدمونها بنصف سعرها الأصيل . هذا الاختيار  
 يكون دائماً مفاجأة ، فلا يستطيع أحد أن يعرف هذه السلعة مقدماً ، ولذلك  
 فإن الزبائن يضطرون إلى الذهاب إلى « ماير » كل يوم للبحث عن سلعة  
 اليوم الرخيصة . .

وبلغت أرباح « ماير » فى تلك السنة « ١٧ مليون دولار » وأصدر  
 المحل كتاباً ذكر فيه قصة « ماير » الأب الذى دخل أستراليا وهو  
 لا يملك إلا قميصه .

رأيت « ملبورن » فى صورة زاهية مشرقة فأحببتها ، ورأيت الخنافس  
 يسيرون فى الشوارع فى حرية وجدية ، ورأيت أجمل بنات الدنيا وهن  
 يلبسن أغرب التقاليع ويسرن فى الشوارع حافيات كنوع من الابتكار ،  
 كنت أتمتع بهذه الراحة النفسية الطارئة وأواصل على مهل البحث

عن وظيفة ، حتى قرأت يوماً إعلاناً عن طلب رسام في شركة إعلانات .  
 كتبت طلباً للوظيفة وأرسلته ، وسرعان ما جاءني الرد يحدد لي موعداً  
 للمقابلة الشخصية .

كانت المقابلة الشخصية هذه المرة في ( مكتب استخدام ) مع رجل  
 عملي مرح لم يتركني أتحدث طويلاً ، بل ألقى نظرة سريعة على رسومي  
 وأخبرني بأنه يعتقد أنني سوف أفوز بالوظيفة ، ثم أعطاني خطاباً للشركة  
 وكتب لي العنوان ثم أراد أن يسهل لي المسألة فوصف طريقة الوصول ،  
 فقال إن عليّ أن أركب تراماً من منزلي إلى محطة القطار ، ثم أركب القطار  
 أربع محطات ، وبعد ذلك أركب الأتوبيس حتى آخره وفي النهاية أمشي  
 مسافة ( ٢ كيلو ) . .

وفي اليوم التالي نفذت نصيحته بالحرف ، وركبت الترام والقطار  
 والأتوبيس ، ثم بدأت رحلة الـ ( ٢ كيلو ) .  
 كان الطريق واسعاً ، وكانت السيارات تعبره في ثمانية اتجاهات ،  
 ولا يوجد رصيف أسير بجانبه ، فسرت وسط العربات أحتمي بالله من سيلها  
 الذي لا ينتهي . قطعت نصف المسافة تقريباً وما أدري إلا والمطر ينهمر  
 مرة واحدة . وفي ثوان كانت ثيابي تقطر ماء . كنت الإنسان الوحيد الذي  
 يمشي بين العربات ، وكان من الجنون أن أواصل السير ، فكيف أصل  
 إلى الشركة التي أرجو أن أعمل بها لأول مرة وأنا أبدو كغريق نخرج من الماء  
 لتوه .

عدت أدراجي جرياً ووصلت إلى البيت وأنا أرتجف من البرد .  
 كنت ساخطاً على هذه الوظيفة مندهشاً أسائل نفسي لماذا لا توجد الوظائف

الممتازة إلا في الأماكن النائية ! !

أما صاحب مكتب الاستخدام الذى أرسلنى فقد حملت له فى نفسى موجدة كبيرة لكونه السبب فى هذه البهدة .

ومر اليوم واعتقدت أن الموضوع قد انتهى ، وأنهم لا شك قد اختاروا أحداً غيرى ، وإذابى أفاجأً بتلغراف من مكتب الاستخدام يطلب ذهابى فوراً .

ما الذى يريده ذلك المجنون ؟ ذهبت إليه فوجدته - لدهشتى - غاضباً يسألنى لماذا لم أذهب إلى الشركة ؟

قصصت له ما حدث ، ولكنه لم يتأثر ، بل ظل غاضباً وقال : كان يجب أن تذهب بأى شكل ، لأن الشركة متمسكة بك .

تحملت غضبه أمام هذا الكلام الطيب ، ووعدته بالذهاب فى اليوم التالى . وفى المنزل حكيت القصة كلها ( لمسر كروناس ) فعمدت إلى خريطة ( ملبورن ) ، وفرشتها على الأرض ، وسرعان ما اكتشفت أن هناك أتوبيساً يبدأ من باب المنزل إلى باب الشركة . وكان غباء إذن من الرجل أن يصف لى هذه الوصفة الحمقاء . .

وفى الصباح التالى ذهبت مبكراً ووصلت قبل أن يصل باقى الموظفين واستقبلتنى موظفة الاستعلامات الشابة ورجتنى أن أنتظر حتى يحضر موظف شئون العاملين . . وبعد دقائق أخبرتنى أن ذلك الموظف لم يحضر بعد ، ولكن وكيل الشركة قد حضر وأنه يحب أن يقابلنى .

كان الوكيل رجلاً فى الحلقة السادسة بشوشاً ضاحكاً بسيطاً أجش الصوت عاليه كأنه ابن بلد من الجمالية . وقد أرانى الأعمال المطلوب منى

رسمها فوجدتها أشياء بسيطة أستطيع أداءها وأنا مغمض العينين . .  
 ملأتني رؤية الرسوم التافهة ثقة في نفسي ، فتحدثت في وضوح  
 ومرح وذكاء حتى خلبت لب ذلك الوكيل الطيب القلب الذي كان يقهقه  
 في صفاء أمام كل ما أقول .

ثم بدا لنا أن كل ما قد يقال قد قيل ، وارتاح كلانا إلى الآخر ،  
 وعند ذلك بدأ يتفق معي على المرتب والواجبات والمواعيد .  
 المرتب ( ٨٠ دولاراً ) في الأسبوع . . والأيام أربعة أيام ونصف  
 يوم في الأسبوع . والمواعيد من التاسعة صباحاً . لا الثامنة إلى الرابعة  
 بعد الظهر .

آه . . كل هذا رائع . وهذا كله لقاء القيام بهذه الرسوم الهائلة . إن  
 قلبي يزغرد فرحاً وعسى يارب ألا تضيع هذه الفرحة .

وعند ذلك جاء موظف شئون العاملين ! ! !  
 رجل ضئيل ، مشوه الوجه والجسم ، لا مع العينين كالمجانين ،  
 ومظهره كله يوحي بأنه نشال أو من مدمني المخدرات .  
 عند دخوله كنا نضحك ، وقد فاجأه ضحكنا فنظر إلينا في هلع  
 وكأنه يقول : أرجو أن أكون قد جئت في الوقت المناسب قبل أن تقع الفأس  
 في الرأس . أخبره الوكيل بأنه قد وافق على تعييني وأنه اتفق معي على كل  
 شيء . . فاصفر وجهه وتنحنح نحنحة مصطنعة كأنما يكلم الوكيل بلغة  
 سرية ، ثم بدأ يتحدث معي وهو يحاول أن يخترق وجهي وجسمي بنظراته  
 الثاقبة منقبا عما لا أدرى . وكان يتحرك في نفس الوقت في عصبية خلف  
 الوكيل كأنه فأر يتصيد فرصة ليخطف شيئاً . .

أجبت عن أسئلته بوضوح ودقة واحتقار خصصته به ، ولاحظت أنه غير مهتم بإجاباتي بقدر اهتمامه بتأملي وتفحصي ، حتى لقد توقعت في كل لحظة أن يطلب مني أن أخلع ثيابي ثم لاحظت أيضاً والحزن يتسرب إلى قلبي أن وجوده - وحركاته - قد أثرا أثراً سيئاً في نفس الوكيل الذي بدا متحرجاً وكأنه يحاول أن يسحب موافقته السابقة أو يؤجلها ، وشعرت بأن الفأر اللعين يحاول قصارى جهده أن يجرّني من كل ما كسبته في نفس الوكيل قبل حضوره .

كان ذلك كله تياراً باطنياً ، أما في الظاهر فقد كنا ثلاثتنا نتحدث في لباقة وديبلوماسية . انتهى اللقاء . وبدلاً من أن أخرج باتفاق على بدء العمل خرجت بوعد على أن يتصلوا بي تليفونياً لإبلاغى النتيجة النهائية وفي المساء بلغتني النتيجة النهائية . الاعتذار المهذب والتمنيات الطيبة بمستقبل زاهر . .

نجح الفأر في إقصائي عن هذه الوظيفة الرائعة .

كانت صدمة أثرت في نفسي ، وزاد في إحساسي بها نظرة الأسى العميقة التي رأيته في عيني صديقتي الطيبة ( مسز كروناس ) . كان إخفاقي هنا إخفاقاً لاهتمامها ولنياتها الطيبة .

ثم جاء الغد ، ومع البحث الجديد نسينا هذه القصة وآلامها . قرأت إعلاناً يطلب موظفين ( مثقفين ) دون أن يحدد طبيعة العمل . . ولكن الذي اجتذب اهتمامي في الإعلان هو عنوان الشركة . كان نفس الشارع الذي أسكن فيه . هل هذا ممكن ؟ . أن أشتغل في نفس الشارع الذي أسكن فيه ؟ .

ذهبت إلى الشركة ، وقابلت المسئول ، ووجدته رجلاً طويلاً نحيلاً  
أسمر البشرة والشعر يلبس نظارة سوداء .  
سألني عن مؤهلاتي وخبراتي فأجبته ، ثم عرفت منه طبيعة العمل .  
( مندوب بيع ) فهذه الشركة تنتج ماكينات لصناعة الحلوى ، وتريد  
تسويقها ، وواجباتي هي أن أمر بالبيوت لأبيع هذه الماكينات لربات  
البيوت في مقابل مرتب ثابت وعمولة مجزية لقاء كل ماكينة أنجح في  
بيعها .

كانت وظيفة سخيفة ، من المؤكد أنه لا مستقبل لها ولا حاضر أيضاً .  
ومع ذلك لا أدري لم تمسكت بكلامه . لعل السبب هو وجود الشركة أمام  
المنزل . لعله التعب من المشاوير البعيدة هو الذي جعلني أتمسك بهذه الوظيفة  
المضحكة ، وفي نهاية اللقاء فاجأني الرجل بأن تحدث معي بالعربية . .  
إنه لبناني ولكنه ولد في أستراليا .

كانت هذه المفاجأة الطريفة هي الكلمة الأخيرة ، فوافقت على  
الوظيفة وتعهدت بأن أبدأ من الغد على أن أستقيل من مصلحة البريد  
بعد أسبوع .

وفي اليوم التالي استيقظت متأخراً فغسلت وجهي بماء ساخن وخرجت  
جرياً إلى الشارع ثم إلى الشركة . وهناك قابلني الصديق اللبناني . . ووجدت  
عنده مجموعة من الشبان وهو يشرح لهم طريقة استعمال ماكينة صنع  
الحلوى . . كان هؤلاء الشبان هم زملائي الجدد . وقفت معهم أستمع إلى  
شرحه العملي وراقبته وهو يضع السكر والقشدة والبيض وجوز الهند وشراب  
الفراولة في الماكينة . ثم وهو يخرج كل ذلك من الماكينة قطعاً من الحلوى

اللذيذة . ذقناها جميعاً وأبديت إعجابنا بها . وعند ذلك طلب منا أن نستعمل الماكينة واحداً واحداً حتى نتمرن عليها .

وقفت في انتظار دورى ، وعند ذلك فوجئت بالدموع تنهمر من عيني . . دموع ٣ لا . . كان سيلاً منهمراً من الماء يخرج من عيني ويبل وجهي كله . . جففت عيني بسرعة ، وسرعان ما عادت الدموع تخرج من عيني .  
ملأتني الحرج والدهشة وأنا لا أعرف سر هذه الدموع ، فلم أكن حزيناً بصفة خاصة ولا سعيداً ولا في أى حالة عاطفية خاصة ، ومع ذلك فإن الدموع مستمرة في الخروج من عيني ، وعند ذلك استنتجت أنني أصبت ببرد في عيني عندما غسلت وجهي بالماء الساخن وخرجت بسرعة إلى الشارع .

عرفت السبب إذن ، ولكن الدموع مستمرة وأنا مستمر في تجفيفها ، وبدأ الموجودون يلاحظون دموعي القهرية ويندهشون . ومر الوقت وأنا أرجو أن تكف الدموع عن النزول ، ولكنها زادت حتى بللت وجهي وصدرى وثيابي فلم يعد في إمكاني أن أبقى بهذا المظهر الحزين ، فاستأذنت من صديقي اللبناني وخرجت وأنا أمسح دموعي وأضحك من أعماقي لهذا النحس الغريب الذي يلزمني . .

ولكني لم أكن آسفاً على هذه الوظيفة ، فقد كانت المسألة كلها تهوراً مني من البداية ، ولم أنو العود إليها وغسلت الدموع هذه الحماقة العارضة . ثم فوجئت في مصلحة البريد مفاجأة جعلتني أقرر أن أبحث عن وظيفة بأسرع ما يمكن . . عرفت أن العمل الذي نقوم به هو ( فترة تمرين ) ، وبعدها علينا أن نؤدي امتحاناً في أوراق يعطوننا إياها لنستظهرها في يوم

ثم تؤدي الامتحان فيما هو فيها .  
 أما محتوى الأوراق فهو آلاف من أسماء الشوارع ، وأمام كل اسم رمز بريدي يشير إلى الناحية التي يقع فيها هذا الشارع .  
 الامتحان شفوي خاطف ، والذي ينجح فيه يبقى في العمل لحين امتحان آخر ( أكثر صعوبة ) ، أما الذي لا ينجح فإنه يفصل .  
 كنت واثقاً أنني لن أستطيع أن أحفظ هذه الآلاف من الأسماء ، ولم أكن أريد أن أفصل ، لأن الفصل يمكن أن يسيء إلى مستقبلتي في أستراليا . وإنما لأنه جدير بأن يؤثر تأثيراً سيئاً في نفسي . أنا أعرف نفسي جيداً .

يجب إذن أن أستقيل قبل أن أفصل . قبل أن أمتحن . أي يجب أن أجد وظيفة أخرى في يوم وليلة .

شمرت عن ساعد الجدة ، ولم أنتظر إعلانات الجرائد ، بل فتحت دفتر التليفون ونقلت منه عناوين كل شركات الإعلان وأرسلت خطابات لها جميعها . ثم جاءني أول خطاب فحملت رسومي وذهبت إلى الشركة ، ومررت بقسم الرسم فرأيت الرسامين يرسمون خرائط جغرافية . هذا شيء بعيد جداً عن مجال خبرتي ، ولكنني مستعد لأن أتعلم أي شيء وورائي شبح الفصل الرهيب قابلت الموظف المسئول الذي أبدى تقديره الشديد لرسومي ولكنه اعتذر بأن العمل في شركته هو رسم خرائط جغرافية . وهو شيء أقل من مواهبتي بكثير .

كان اعتذاراً رقيقاً ، فتهدت وهممت بالانصراف ، ولكنني وجدته يقول في إخلاص وتأثر : ما الذي يستطيع الإنسان أن يفعله مع فنان موهوب

مثلك ؟ أجيبته ضاحكاً : يطلق عليه الرصاص . ولكنه قال فى جدية إنه يعرف صديقاً له شركة إعلان وأنه يعتقد أن مواهبى تصلح لهذه الشركة ، فهل أقبل أن يحول طلبى إليها ؟ .

لم أجد ما أخسره فوافقت ، وعند ذلك أعطانى اسم صديقه ( بيتر فاند ر هوف ) ورقم تليفونه وطلب منى أن أتصل به بعد ساعتين لأعرف النتيجة . خرجت وأنا أتصور كلامه مجاملة غير جادة ، ونقلت القصة ورأى فيها إلى ( مسز كروناس ) التى عارضتنى وقالت إننى مخطئ فى تصورى ، وإنها تعرف أن الناس فى أستراليا لا يقولون إلا ما يعنون . وأنه لذلك يجب أن أتصل بالشركة حسب الاتفاق . كنت لا أزال غير مصدق ، ولكنى لم أرد أن أكون جاحداً لاهتمامها ، فطلبت الرقم وجلست هى القرفصاء على الأرض تبسم لى فى تشجيع . وشد ما كانت دهشتى عندما رد على ( بيتر فاند ر هوف ) وأخبرنى أنه تسلم طلبى وأنه موافق على تعيينى ، ويرجئ أن أحضر لمقابلته .

فمتى أستطيع أن أقابله ؟

حددت له الغد وأنا ذاهل . ثم وضعت الساعة ونظرت إلى مسز كروناس التى كانت تضحك سعيدة وهى تقول : ( جالك كلامى ) ؟ فى اليوم التالى قابلت صاحب العمل الجديد ( بيتر فاند ر هوف ) ، واتفقت معه على البدء فى العمل بعد أسبوع بمرتب ( ٥٠ دولاراً ) فى الأسبوع .

كان اتفاقنا شفوياً ، ولم نكتب شيئاً فيما عدا الطلب الذى قدمته

إلى الشركة السابقة ، ومع ذلك فقد عينت في هذه الشركة . فهكذا  
تسير الأمور في أستراليا .

وفي ذلك المساء ، في مصلحة البريد ، سلمني الرئيس ورقة أسماء  
الشوارع المربعة فسلمته استقالتى . وبعد أسبوع صرفت مرتبى ومكافأتى  
وبدأت عملى الجديد رساماً في شركة إعلانات ( بيتر فاندريهوف ) .



## ❁ رسام إعلانات ❁

كانت الوظيفة الجديدة طفرة كبيرة في حياتي . ارتقيت من ( أفندي ) إلى ( جنتلمان ) . . وقد بدأت العمل الجديد وأنا أطوى قلبي على أجمل النوايا الطيبة له . قلت لنفسي : هذه هي الوظيفة التي سوف أستقر فيها طالما بقيت في أستراليا .

لم يكن المرتب ( ٥٠ دولاراً ) هو المرتب الذي أحلم به أو الذي أستحقا ولكن المزايا الأخرى غطت - في رأيي - هذا النقص . . أولى المزايا كانت أن هذا العمل هو ( لأول مرة ) العمل الوحيد الذي أحبه من أعماق قلبي . بل لم أكن أعتبره عملاً . كان الهواية التي أسعد بمزاولتها في كل وقت . الميزة الثانية هي قرب مقر الشركة من منزلي . كان بإمكانني أن أمشي إليه إذا خرجت مبكراً في الصباح ، فإذا تأخرت فإن الترام الذي يقف أمام منزلي مباشرة ينقلني إليه في دقائق .

وكان كل يوم يمر على في شركة الإعلانات يقنعني بصواب رأيي . . كانت الشركة في ( شارع كولنز الصغير ) ، وهو من الشوارع لراقية في المدينة . وكانت الشركة في شقة صغيرة في بيت صغير ذي ثلاثة أدوار كلها حافلة بمكاتب عمل وشركات مختلفة .

وفى الطابق الأرضى تجلس فتاة جميلة غريبة ، مهمتها أن تحضر الشاى والقهوة للموظفين فى مواعيد تناول الشاى . هذه الفتاة حيرتنى وقتاً طويلاً ، إذ كنت أراها كل صباح ، ويعجبني شعرها الأصفر البديع . وفى المساء أرى فتاة أخرى سوداء الشعر تشبه الأولى تماماً حتى لقد ظننتهما توأمتين . ثم ضحكت كثيراً عندما اكتشفت أنهما فتاة واحدة ترتدى باروكة شعر صفراء فى الصباح وباروكة أخرى سوداء فى المساء . أما لون شعرها الحقيقى فلا يعلمه إلا الله . .

وكانت الشقة التى نعمل فيها أربع حجرات ، والموظفون قليلين يعدون على الأصابع .

أولهم ( بيتر ) صاحب الشركة ومدير العمل ، وهو شاب هولندى الأصل طويل طولا غير عادى ، له وجه ضاحك برىء كوجوه الأطفال ، وتأتى بعده ( كريستين ) سكرتيرة الشركة ، وهى فتاة جريئة جميلة رشيقة كأنها مانىكان . ثم ( بيرل ) وهى فتاة صغيرة الحجم قبيحة الوجه ، ولكنها خفيفة الظل محبوبة من الجميع ، ثم ( روز ) وهى تتكلم كثيراً وتنسى نفسها فى الحديث بالساعات ، وقد شجعتنى رقتها وبساطتها يوماً على أن أتصور أنها تحاول إغرائى فسرت معها فى الحديث فى هذا الاتجاه وإذا بها تنفر وتغضب بشكل أثار دهشتى وندمى .

بعد هؤلاء يأتى ( لورانس ) مندوب الشركة لتسويق أعمالها . وهو رجل ذكى ساخر ولكنه مؤدب شأنه شأن الأستراليين جميعاً . ثم ( جون ) وهو شاب عملاق مصاب بالزكام باستمرار ، وهو رسام ، ولم أجد فيه عيباً إلا

أنه ( شحاذ ) بالفطرة ، فكل ربع ساعة كان يقصدنى مسرعاً قائلاً :  
أعطينى سيجارة .

أما ( تشارلز ) الرسام الثانى والذى كان يطلق شعره بطريقة الخنافس  
فإنه فصل فى نفس اليوم الذى عينت فيه .

هل كان فصله إنذاراً عملياً لى ؟ . . أو أن ( بيتر ) استغنى بى عنه ؟ . .  
على أى حال - باستثناء هذه الحادثة - فإن البداية كانت طيبة جداً .  
أنخبرنى ( بيتر ) فى بساطة وإخلاص أنه لا يتوقع منى أن أؤدى ما يطلبه بالضبط  
فوراً ، وأنه يعرف أن إخضاع المواهب لاتجاه معين يتطلب وقتاً ومثابرة  
ونخبرة ، وأنه لذلك يتوقع منى أن أخطئ كثيراً فى البداية .

وافقت على كلامه ليكون ذلك خط رجعة لى ، ولكنى كنت فى الوقت  
نفسه أنوى أن أدهشه بإتقان الأعمال التى يطلبها منى بأسرع مما يتوقع .  
هكذا بدأنا معاً .

وجلسنا إلى المكتب الفخم فى الشقة الأنيقة ، وتحت تصرفى دولاب به  
كل خامات الرسم . كنت أبدأ العمل من التاسعة صباحاً وبعد ساعتين تتصل  
بى ( وبنا جميعاً ) موظفة الاستعلامات الشقراء السمراء لتسألنى عما أحب أن  
أشرب . شاي أم قهوة ؟ وبعد دقائق تصعد إلينا ومعها طلباتنا . فإذا جاءت  
الساعة الواحدة خرجت ( لمدة ساعة ) للغداء ، وفى الثالثة مساءً أشرب  
الشاي مرة أخرى ثم أنصرف إلى منزلى فى الخامسة مساءً .

شعرت لأول مرة بأننى فى وسط متمدين حقاً . كان الجميع مؤدبين  
مهذبين اندمجوا معى بسرعة ولم يشعرونى لحظة واحدة بأننى مهاجر . شيئاً  
فشيئاً صرت صديقاً للجميع . عرفت كل شئ عن ( كريستين ) وعن

أحلامها في أن تصير ( مانيكان ) تغزو « صالونات » الأزياء . وشاركت ( بيرل ) يومياً في الحديث عن مشروع زواجها الذي كانت تخطط له وتدخر كل « سنت » تكسبه في نفس الوقت الذي كان خطيبها أيضاً يدخر كل ما يكسبه ليشتري المنزل الصغير الذي ينوي أن يعيش فيه بعد الزواج . وأصلحت ما أفسدته حماقتي مع ( روز ) وشاركتها الاهتمام والإعجاب بأطفالها الصغار الذين كانت تحتفظ بصورهم معها طول الوقت . ثم تمكنت من أن ألزم جون حدوده في الشحاذة وأن أنقص إلى أقل قدر ممكن عدد السجائر التي يشحذها مني كل يوم . أما ( لورانس ) فلم أكن أراه كثيراً لأن معظم عمله في الخارج ، ولكنه كان مجاملاً مؤدباً في كل مرة قابلته فيها .

كان كل شيء حولي طيباً وأنيقاً ومريحاً . وكان المستقبل يبدو أمامي مفروشاً بالزهور والعطور . أتقنت العمل الذي كان يكلفني به ( بيتر ) وأصبحت أنتج بسرعة وخبرة ودربة .

ولكن شيئاً واحداً كان ينغص على جمال هذه اللجنة التي كنت أعيش فيها ، هذا الشيء هو أن عملي لم يكن فنياً تماماً . كان عملاً هندسياً يحتاج إلى خبرة ودقة ولكنه لا يحتاج إلى مواهب خاصة . وأنا مواهبي ( خاصة جداً ) لا تلمع ولا تجدد نفسها إلا في الرسم الحر الخيالي . وقد صارحت ( بيتر ) بذلك يوماً فقال لي : إنه يفهم تماماً هذا الموقف ، لأنه هو نفسه فنان . ولكنه قال إن السوق لا تحتاج إلى الفن بقدر ما تحتاج إلى العمل الهندسي . وعرفت منه أنه درس الفن في بلده ( هولاندا ) ثم حضر إلى أستراليا بأمل أن يجد مجالا لمواهب دراسته .

ولكنه لم يجد ، فأخضع مواهبه لطلبات السوق ، وابتدأ يقوم بتنفيذ هذه الأشكال الهندسية التي تحتاج إليها جميع الشركات . والدليل على نجاحه أنه تمكن في ظرف سنتين من أن يكون هذه الشركة . ومع ذلك قال لي إنه لا يريد أن يخسر مواهبه الفنية ، وإنه ينوى الاستفادة بها في المستقبل بعد أن يطمئن على وفرة طلبات الأعمال الفنية التي تحتاج إلى خلق وابتكار مثل اللوحات والإعلانات . في هذه الحالة سوف يجعلني أفرغ للفن الحر وينشئ قسمًا يجعلني رئيسًا له . . لم يعد عندي إذن ما أشكو منه .

ومرت الأيام وكان كل شيء يبدو أكثر جمالا وأكثر سهولة . ثم تعين معي رسام جديد اسمه ( ديك ) وطلب مني ( بيتر ) أن أدربه على العمل . كان ( ديك ) شابًا أستراليًا صغيراً مهذباً جداً وكان مندجاً في جمعيات سياسية تنادي بضرورة استقلال أستراليا عن إنجلترا .

ثم شكالي « ديك » يوماً من كثرة شحاذة « جون » السجاير منه ، فضحكت وأخبرته بتاريخني مع ( جون ) ، وعند ذلك اتفقنا على خطة لتأديب ( جون ) نهائياً . وبنينا خطتنا على أساس طريقة ( جون ) في الشحاذة . فإنه عندما كان يطلب سيجارة لم يكن يطلبها لله . بل كان يقول إنه ( نسي ) أن يشتري سجائر . . لذلك اتفقنا على أن يكون ردنا على ( جون ) في كل مرة يقول فيها هذه الجملة الحمقاء : مادمتم نسيت أن تشتري فاشتر منا . وفعلاً كنا نبيع له السجاير .

مرة بعد مرة . وأخيراً كف ( جون ) عن شراء السجاير منا ، وبدأ يحضر معه لأول مرة علبة سجائر خاصة به .

أما أنا و ( ديك ) فقد تعلق كل منا بالآخر وبدأت أخرج معه بعد

العمل وأرى وجوهاً للبورن لم أكن أعرفها من قبل .  
 عرفت عشرات المطاعم اليونانية واليابانية والإيطالية التي تقدم أصنافها المحلية للزبائن ، وتمنيت أن أرى مطعماً مصرياً تتصاعد منه رائحة الملوخية والثوم والفول والطعمية ، وعرفت المطاعم الصغيرة الأنيقة التي ( تخدم فيها نفسك بنفسك ) والتي تتفنن في صنع الأطعمة وتضع اللحم والتفاح معاً في سندوتش واحد . وأعجبنى من أصناف هذه المطاعم ( فطيرة الأرنب ) .  
 والأرنب يقدم فيها بطريقة لم أرها إلا في أستراليا ، فهو يفرغ من محتويات بطنه ، ثم ينظف ويحشى باللوز والجوز وما إلى ذلك ، ثم يشكل على هيئة فطيرة مستديرة ، ويربط بخيط رفيع ثم يدخل الفرن ليخرج منه بعد ذلك فطيرة حمراء شهية .

هذه الفطيرة ثمنها ( ٧٠ سنتاً ) أى ٣٥ قرشاً . .

وعرفت المطاعم الفخمة التي يكاد الإنسان يفقد وعيه أمام فخامتها ، ( ولم تعجبنى هذه المطاعم ) ، وعرفت الكازينوهات التي تعرض كل ألوان الفن ابتداء من الموسيقى الرفيعة إلى الإستربتيز ، ودور السينما الفخمة ، ودور السينما الغربية التي يستمر العرض فيها من الصباح إلى الصباح بتذكرة واحدة .  
 فهي مظلمة ليل نهار ، ولكن فيها ساعة كبيرة لامعة بجوار الشاشة كأنما تذكر الجمهور بالوقت إذا كان جمهور هذه السينما يهمل الوقت !  
 وفي معظم الأحيان كنت أذهب إلى البيت لأتغدى وأتبادل حديثاً سريعاً مع ( مسز كروناس ) ثم أهرع إلى العمل . فإذا لم ألتغدى في البيت فإننى كنت ألتغدى مع ( ديك ) في الشارع . كنا نقصد دولاباً أوماتيكياً موضوعاً في الشارع ( في كل شارع ) ، ثم نضع فيه الثمن فيخرج لنا الغذاء ساخناً

في علب من البلاستيك .

وبعد ثلاثة أشهر من وجودي في شركة الإعلانات عين معنا (مستر جوهانز أرسولومليو) وهو رجل في الخامسة والستين لا يختلف كثيراً عن ثقل ظل اسمه ، كان يشغل موظفاً في مصلحة المناجم في «نيوغينيا» لمدة ٥٠ عاماً ثم خرج على المعاش بمعاش «٧٠ دولاراً» أسبوعياً وجاء إلى ملبورن ليستمتع بحياته ، ولكنه لم يشأ أن يبقى عاطلاً فتقدم بالإعلان الذي نشره «بيتر» يوما عن طلب مراجع لغوى فوافق بيتر وعينه بـ «٤٠» دولاراً في الأسبوع .

وجلس جوهانز أرسولومليو في نفس الحجرة التي كنت أجلس فيها أـ (ديك) ، وقد لاحظت من البداية أنه لم يحبني وأنه لا يبدو عليه ينوي أن يحبني . ولم يهمني شعوره فأنا أيضاً لم أرتح إليه . كان في حد ساخطاً على كل شيء . وبالذات على البرد . وهذا شيء طبيعي بالنسبة لشخص عاش طول عمره في (نيوغينيا) الاستوائية .

كان يحضر كل صباح وهو يسعل ويبصق ويتمخط ويشكو من البرد . ويحيل حياتنا جحيماً ، ولكنه كان شخصاً مضحكاً . هكذا تصورته أنا و (ديك) ، وصار كل ما يقوله يحملنا على الضحك . بل إننا كنا نضحك قبل أن يتكلم . شيئاً فشيئاً تعود البرد وكف عن الشكوى وانشغل مراجعته اللغوية .

وسارت حياتي رخيّة هائلة في شركة الإعلانات حتى بدا أنه ليس في الإمكان حقاً أبدع مما هو كائن .

وعند ذلك استيقظ (شيطان الهدم) في نفسي يسألني لماذا لا تستقيل ؟ ..

كان السؤال غريباً لا معنى له ولا مكان له ولا سبب له ، ولكنه استمر يشغلني كأنما لا يشغلني في الوجود شيء غيره .

والسبب ؟ نعم كان هناك سبب . . السبب الحقيقي شيء في أعماقي . في طبيعتي البناءة الهدامة في نفس الوقت !

فأنا أبني باستمرار بإخلاص وإيمان وحماس ، وأجعل من كل هدف أبنيه حياة أو موتاً ، فإذا حصلت عليه وشعرت بالاستقرار شعرت بالحنين إلى القلق من جديد ، كأنما ( القلق ) هو هدف حياتي الحقيقي . كأنني مكافح لا يريد أن يصل إلى شيء أبداً . النجاح في حد ذاته هو كل شيء عندي ، ولذلك أهدم كل بناء أبنيه بمجرد شعوري بأنني نجحت في البناء كأنني أتحدى شخصاً غير منظور أحاول أن أثبت له دائماً أنني قادر على النجاح في كل شيء . هكذا كنت طيلة حياتي ، ولا يبدو أنني على استعداد لأن أتغير . ولو سألتني سائل عن هدفي في الحياة لقلت في صدق وإخلاص : الاستقرار . ومع ذلك فإن كل ما أسعى خلفه هو القلق والجري والكفاح . والدليل على ذلك أنني في أستراليا لا في مصر !

هكذا وجدت في نفسي لفة شديدة على الاستقالة والخروج من هذه اللجنة الوادعة إلى معترك البحث عن وظيفه من جديد . وبدأت الاستقالة كأنها أجمل ما في الوجود ، فأنا أفكر فيها في كل وقت ولا أستطيع أن أبتعد بفكري عنها أبداً .

قدمت استقالتني إلى ( بيتر ) الذي دهش دهشة بالغة ، ولكنني صممت ، فرجاني أن أبقى أسبوعين حتى يعثر علي من يحل محلي . بقيت أسبوعين وأنا أحلم بيوم الخروج من هذه اللجنة . .

وبعد أسبوعين سلمنى ( بيتر ) متنهداً مرتبى ومكافأتى عن المدة التى قضيتها معه ، وتمنى لى مستقبلا طيبا ، ثم ودعنى الجميع ، وشربت آخر فنجان شاي مع صديقى ديك ، ثم خرجت من شركة الإعلانات لأبدأ من جديد رحلة البحث عن وظيفة مناسبة .

## Cairo Lights Group

*presents*

*The Great Musical Comedy*

“Raud el Farag”

at Nicholas Hall, 148 Lonsdale St., Melbourne

on SATURDAY, 29th JULY, 1967, 6.45 P.M.

*Directed by:* **SALAH TANTAWI**

*Entrance by Donation*

تذكرة دخول مسرحية « روض الفرج »

## ❁ روض الفرج ❁

أما في فرقة ( أضواء القاهرة ) فإن الأمور كانت تجري بشكل مختلف . .  
كان خروج ( برناديت مهران ) من الفرقة قد أحدث فيها فراغاً  
ولا شك ، ولكن البروفات كانت مستمرة . وكنت ألح في عيني ( توني  
وإلياس ) خوفاً نبيلاً على مستقبل الفرقة ، وكنت أشاركهما بعض خوفهما  
في الحقيقة ، ولكني أيضاً كنت أحمل في قلبي اطمئناناً راسخاً لا أدرى  
مبعثه إلى أنني سوف أعر على ممثلة ممتازة تحل محل ( برناديت ) وتلعب  
دور ( بهيجة العظمى ) الذي لعبته في مصر ( زوزو نبيل ) .

ولم تمض أيام حتى تحقق صدق ظني . .

كنت أسير في الشارع وإذا بي أسمع من يناديني بالعربية : ( إزيك  
يا شيخ سيد . . ) التفت خلفي فوجدت شابة مصرية صاحكاً تقدم مني وهنأني  
على نجاح مسرحية ( سيد درويش ) ، ثم قدم نفسه . ( رشاد زكي ) وقدم  
إلى زوجته التي كانت تقف خلفه فلم أرها عندما رأيته . ( سلوى صادق ) .  
صافحتني سلوى في حرج وخجل ، ولكن ما إن وقع بصري عليها حتى شعرت  
بأنها هي الوحيدة التي تصلح لبطولة ( روض الفرج ) .

استمر رشاد يحدثني عن ( سيد درويش ) وأنا لا أستطيع أن أرفع



سلوى صادق بطلة فرقة « أضواء القاهرة »

بصرى عن سلوى . ثم عرضت على الاثنين أن ينصبا إلى الفرقة ، فوافقا فى الحال وطلبت منهما أن يحضرا إلى البروفة فى نفس اليوم .

كان ( رشاد وسلوى ) قد هاجرا إلى أستراليا منذ سنتين ، ومعهما ابنتهما الوحيدة الصغيرة . وما إن وصلا إلى ( ملبورن ) حتى أصيبت ( سلوى ) بحالة عصبية عندما رأت الشوارع خالية من الناس ، فطلبت من رشاد أن يعيدها إلى مصر ، وقد حاول ( رشاد ) فعلا أن يعيدها ويعود معها ، ولكن لم يكن معهما نقود يعودان بها فاضطرا إلى البقاء والعمل حتى يدخرا ثمن تذكرة العودة ، وشيئا فشيئا تعودا الجو والشوارع الخالية ، وأنجبا طفلهما الثانى ، واشترىا عربة وشقة ، واستقرت بهما الحياة فى ( ملبورن ) ، ولكنهما لم يستطيعا قط التغلب على الحنين إلى مصر . هذا الحنين الذى دفعهما إلى حضور أولى حفلاتنا ، ودفعهما بعد ذلك إلى الانضمام إلى الفرقة بمجرد أن عرضت عليهما ذلك . .

وفى هذه الليلة احتفلنا بانضمام هذين العنصرين الطيبين إلى الفرقة وأسندت دور ( بهيجة العظمى ) إلى سلوى ، ودور ( زكى مرعش ) إلى رشاد ، واختفت مخاوف تونى وإلياس .

وكان رشاد وسلوى يعيشان فى إحدى ضواحي ملبورن ، ولكنهما كانا أول من يحضر البروفة بعد أن يمضيا ساعة على الأقل فى ( تنويم ) طفليهما ثم يتركانهما فى الشقة ويحضران البروفة .

ومع الوقت أصبحت سلوى هى ( ماما سلوى ) أم الفرقة كلها .

ثم قدح تونى زناد ذاكرته وتذكر أسرة مصرية كاملة كانت قد حضرت معه على نفس الباخرة ، وذكر أنها أسرة ظريفة جريئة ، وأنه يعتقد أنهم



مسرحية « روض الفرج »



مسرحية « روض الفرج »

سوف يتعاونون مع الفرقة إذا عرضنا عليهم ذلك . ذهبت إليهم بعد البروفة أنا وتوفى وإلياس وسلوى ورشاد . . ووجدناهم أسرة مكونة من الأشقاء الأربعة جورج ويوسف وإدوارد ولطفى وأختهم الشابة الجميلة ماري . وكان الأربعة قد هاجروا إلى أستراليا منذ عام ليمهدوا لحضور والديهم . وفي ملبورن اشتغلوا جميعاً ، واستأجروا شقة ظريفة ، وعاشوا معاً في انتظار حضور والديهم من مصر .

وقد رحبوا جميعاً بالانضمام إلى الفرقة . وفي البروفة التالية حضروا . وأسندت إلى ماري دور ( سنية الكمسارى ) الذى قامت به فى مصر ( وداد حمدى ) . وإلى جورج أسندت دور مصطفى الذى قام به فى مصر ( محمد سلطان ) وإلى إدوارد ويوسف أدواراً . . لمدة . وبانضمام هذه الأسرة الجديدة أصبحت « أضواء القاهرة » أسرة كبيرة تضم ثلاث أسر . الأولى أسرة توفى وإلياس شلهوب ، والثانية أسرة سلوى ورشاد زكى ، والثالثة أسرة لطفى .

وأصبحت الفرقة أكبر وأغنى بالعناصر الفنية مما كانت . وتعود أصدقاء الفرقة ( دكتور ناصح ميرزا ، والشيخ فهمى الإمام ، وغالب نصر الدين ، والأب بولس الخورى ) متابعة البروفات كل ليلة ، حتى لقد قال دكتور ناصح ميرزا إن « أضواء القاهرة » صارت هى ( الرابطة العربية ) الحقيقية التى تجمع العرب جميعاً كل ليلة . ثم انضمت إلى الفرقة شابة يونانية حسناء اسمها ( جورجيت بقدونس ) وكانت تتكلم العربية ، ولكنها لا تكتبها . كانت تتمتع بوجه جميل وجسم

جميل . فأضفت لها مشاهد راقصة ترقص فيها بملابس الرقص الشرقى خلال فصول المسرحية .

كان كل يوم ينقل إلى هواة جدد وأعضاء جدد . منهم مصريون سمعوا عن الفرقة في أنحاء أستراليا وجاءوا للانضمام إليها ، ومنهم مصريون سمعوا عن الفرقة في مصر قبل أن يهاجروا إلى أستراليا ، ثم جاءوا يحدوهم الأمل في المساهمة بنشاطهم في الفرقة .

وآخرون أرسل لهم أهلهم خطابات من القاهرة يحدوهم عما قرأوه عن الفرقة في الجرائد المصرية وينصحونهم بالانضمام إليها .

ظلت الفرقة تنمو وتنمو حتى شعرت بأننى أستطيع أن أكون من أعضائها جيشاً لا فرقة ، وكنت أرحب بكل من ألمس فيه إخلاصاً وجدية وحباً للتمثيل وعند ذلك ظهرت ( برناديت مهران ) مرة أخرى . .

دخلت ثائرة ذات مساء ، واعتذرت عن تصرفاتها السابقة ، ووعدت بالانتظام في البروفات . . رحبت بها وقدرت شعورها الفنى الطيب الذى عاد بها إلى الفرقة ، وعرضت عليها دور ( سنية الكمسارية ) الذى كان فعلاً يناسبها أكثر من دور ( بهيجة العظمى ) . ولكنها صممت على أن تلعب دور بهيجة العظمى ، فاعتذرت لها بعصاة قاطعة ، وعند ذلك اختطفته معطفها وحقيبتها وخرجت مسرعة دون أن تنظر إلى أحد .

كان هذا آخر مشهد مثله معنا ( برناديت ) ، وقد أسفت حقاً لفقدانها ولكنى كنت أعرف أن تنمرها وتمردا أكبر من مواهبها ، وأنه قد يؤثر تأثيراً سيئاً على نظام الفرقة ، وكان النظام والهدوء هو كل ما أهدف إليه ، لأن كل دقيقة كانت محسوبة ، ولا وقت للخلافات ولا للمشاحنات .



المؤلف في مسرحية « روض الفرج »

كانت طريقتي في العمل هي أن أحدد في أول بروفة تاريخ عرض المسرحية .  
ثم أقسم الوقت بين البروفة الأولى والبروفة الأخيرة إلى مراحل عمل ( من  
حفظ حوار وحفظ حركة وحفظ أغان وتصميم ملابس ) . وأتشدد إلى  
أقصى حد في ألا تطغى مرحلة على مرحلة . أتشدد إلى درجة أن من كان  
يرفع صوته في أثناء البروفة كان يخرج لا من المكان بل من الفرقة كلها ،  
فضلا عن النظام القديم الذي يقضى بفصل أى ممثل يتغيب بروفة واحدة .  
كنت أعيش البروفات في جدية وصرامة وقسوة ، وأعتصر الممثلين وأدربهم  
على كل كلمة وكل حركة حتى أثق أنهم يؤدونها تماماً كما أتصورها . .

وبعد البروفة كنت أخلع قناع الصرامة والقيادة وأتحدث على سجيبي  
مع توني وإلياس ولا نفرق حتى يكاد الديك أن يؤذن للصباح . وفي إحدى  
هذه الجولات اكتشفت موهبة جديدة عند إلياس بالإضافة إلى مواهبه القديمة  
( الخجل والإخلاص ) . . . اكتشفت فيه موهبة تأليف الأغاني .

كنا نجلس ثلاثتنا عند غالب نصر الدين ، وأخرج إلياس ورقة من جيبه  
طلب مني أن أقرأها وفي أثناء قراءتها بدأ توني يمدحها ويؤكد شاعرية إلياس .  
واستنتجت من ذلك أن إلياس طلب من توني أن يساهم معه في إقناعي . إقناعي  
بماذا ؟ قرأت الأغنية فوجدتها فعلاً أغنية جميلة رقيقة ، وسألت إلياس عما  
يريده بعد ذلك . تلثم إلياس ثم سكت . أما توني فطلب مني أن أضع لها لحناً  
وأغنيها في المسرحية . كم أحب توني وإلياس . . لهذه الدرجة يثقان في ١ ١ .  
يتصوران أنني مادميت أفعل كل شيء فلا بد أنني أيضاً أستطيع أن ألحن وأن  
أغني . فنظرت إليهما ولم أر أمامي إلا قلبين مصريين منيرين ، وشعرت حقاً  
أنني أستطيع أن ألحن وأن أغني . وبدأت ألحن وأطوع الكلمات للغناء

15TH ANNIVERSARY OF THE 23RD OF JULY

\* \* \* \* \*

THE ARAB ASSOCIATION

presents

CAIRO LIGHTS GROUP

in the great Musical Comedy

RAUD EL FARAG

\* \* \* \* \*

Based on a Short Story by

NAGEEB MAHFOUZ

Written for the Stage by

SALAH TANTAWI & HUSSEIN KAMAL

Directed by

SALAH TANTAWI

!

At Nicolas Hall, 148 Lonsdale Street, Melbourne.

On Saturday the 29th of July at 6:54 p.m.

\* \* \* \* \*

كتالوج مسرحية « روض الفرج »



مسرحية روض الفرج

وهما يرددان معي ، وغالب نصر الدين يرقبنا باسماء . ومع تباشير الفجر الأولى كانت الأغنية قد اكتملت لحناً وكلاماً وخرجنا من عند صديقنا اللبناني ونحن نردد اللحن حتى لا ننساه . ولما كنا لا نكتب نوتة موسيقية فقد اتفقنا على أن نظل نردد اللحن ( كل منا في عمله ) إلى أن نتقابل في المساء في البروفة لكي نغنيه أمام ( ريكاردو ماتسا ) ليكتب له نوتة . .

وفي المساء التالي كنت ما أزال أحفظ اللحن ، وكان توني يحفظه أيضاً . أما إلياس صاحب الأغنية فقد نسي اللحن تماماً . .

كتب ريكاردو نوتة الأغنية ووضعها في الفصل الأول في المسرحية . وكان توني يقوم بدور ( نحلة ) الذي قام به في مصر ( سعيد صالح ) وكان توني يدور كالنحلة فعلاً في الفرقة ، ويساهم في كل شيء ، ويبذل عسارة روحه في خدمة الفرقة ، ولكنه كان أيضاً يلزم الممثلات ويتحجب إليهن جميعاً مما أحزنني وجعاني أقسو عليه وأنبهه باستمرار إلى أن يلتفت إلى عمله ويترك بنات الناس في حالها . ثم اتضح لي في النهاية أنه لم يكن سيئ النية على الإطلاق . كان يبحث عن زوجة لا عن صديقة . وقد تزوج فعلاً إحدى ممثلات الفرقة ، واحتفلنا جميعاً بزواج ابن ( أضواء القاهرة ) البكر .

وبعد شهرين من البروفات استأجرت مسرحاً فخماً وسط المدينة هو ( نيكولاس هول ) بإيجار قدره ( ٣٠ دولاراً ) في الليلة ، واشترت أقمشة فخمة حولتها سلوى وماري إلى فساتين أنيقة وملابس مصرية شعبية .

واتفقنا مع مخبز يوناني على أن يخبز لنا عيشاً صغيراً يصلح للسندوتشات بأن العيش الأسترالي لا يصلح للسندوتشات . وكان هذا المخبز هو الوحيد

الذى يستطيع أن يخبز ذلك النوع من العيش ، ولكنه كان أيضاً ممنوعاً من العمل ، لأنه خالف مصلحة الضرائب فعاقبته بحرماته من العمل لمدة ثلاثة أشهر . ولم يتمتع الخبز عن العمل ، ولكنه كان يشتغل في السر ولا يبيع إلا لمن يعرف كلمة السر . وقد عرفنا كلمة السر من صدق لرشاد وكنا نذهب إلى الخبز تحت ستار الظلام ونمشي في حواضيق مظلمة ونعبر أنفاقاً ونقفز أسطحاً حتى نصل إلى المخبز السري ونحضر على بغيتنا . وكانت سلوى تشرف - مع قيامها بالتفصيل وبطولة المسرحية على صنع الفول والطعمية والسلطة ، في حين كانت جورجيت تفرط ( طرحة ) فوق فستان الرقص وتقف في البوفيه مع بعض الزملاء السندوتشات .

وطبعت التذاكر والبروجرامات واعتمدت على أصدقاء الذين في التوزيع وجاء التوزيع ناجحاً لدرجة أننا جمعنا في الليلة الأولى ( ١٠٠٠ دولار ) .

ومن الطرائف التي حدثت في أثناء توزيع التذاكر أننا قابلنا عند غا نصر الدين ثرياً لبنانياً اسمه أبوأمين ، تحمس لنا وطلب ألا نحرمه من كمية من التذاكر . ووافقناه طبعاً ، وقلت له إن التذاكر كلها تحت أمه ولكنه طلب منا أن نتظر حتى يسأل مصلحة الضرائب ليعرف هل الثمن يدفعه لنا سوف يخصم من المبلغ الذى يدفع عنه الضرائب أو لا وبأن يرد علينا في الغد .

انتظرناه ونحن نرجو كل خير . . . مادامت المسألة قد وصلت إلى سؤال مصلحة الضرائب فلا بد أنه ينوي شراء ٥٠٠ تذكرة وربما .



مسرحية « روض الفرج »

تذكرة ، وفي الغد اتصل بنا ( أبوأمين ) وأخبرنا بأنه سأل وعرف وأنه يريد يشتري تذاكر ، فهل نستطيع تشريفه في منزله ؟ قال توني ضاحكاً : لا ، فيها عشوة لبنانية . . .

في الليلة التالية ذهبنا ( سلوى ورشاد وتوني وإلياس وأنا ) إلى منزل ( أبوأمين ) الذي كان يبعد ٥٠ كيلو عن ملبورن . واستقبلنا أبوأمين المنزل الذي يعيش فيه بمفرده ، ورحب بنا وجلسنا معه في ( الصالون ) سألنا عما إذا كنا نحب أن نشرب شاياً أو قهوة . قلنا له لا داعي . ولكم صمم فطلبنا قهوة ، ولكنه قال في ذكاء : إذا قدمت لكم القهوة الآن فإن سوف تنصرفون بسرعة ، وأنا أريدكم أن تشرفوني فترة طويلة فسوف أؤج القهوة إذن لحين خروجكم وعند ذلك أقدمها لكم . . .

هل يمزح الرجل ؟ . . لا . إنه جاد جداً . على كل حال فلنأت الغرض الحقيقي من حضورنا . أخرجت له تابلوه المسرح والتدائ ووضعتهما تحت تصرفه فأخذهما وتفحصهما بدقة كأنه يفحص أوراثرية ، وبعد نصف ساعة من الفحص الدقيق أعاد لي التابلوه والتدائ بعد أن حجز لنفسه تذكرتين . . .

تذكرتان فقط اشتراهما ( أبوأمين ؛ ٤ دولارات ) بعد كل ما تكبد من جهد وتعب لنصل إليه ولحقت نخبة الأمل على وجوه الجميع ، ولم بوادر السخرية على وجه توني ، ولكنني لم أشأ أن نضيع وقتاً أكثر فشك على كرمه واستأذنت ، ولكنه استبقانا وقال إنه قد لا يستطيع حص المسرحية لأنه لا يخرج كثيراً . فهل نستطيع أن نقدم له الآن جزءاً منها ؟ لم أستطع أن أمنع نفسي من الضحك ، وانفجرنا جميعاً ضاحكين . لا

أن الرجل يظننا فرقة ( عوالم ) لإحياء الأفراح والليالي الملاح ! !  
 قلت لسلوى متظاهراً بالجد : غنى شوية يا سلوى . وتنحنحت سلوى  
 طويلاً ثم اعتذرت بأن صوتها ( مخسك ) شوية الليلة دى . .  
 وعدناه بأن نحضر له مرة أخرى ثم خرجنا دون أن نشرب القهوة  
 الموعودة ، وضحكنا يغلب أسفنا ، وأمام الباب مباشرة اكتشفنا أن العربية  
 قد تعطلت ! !

أمضينا ساعات فى تصليحها وعدنا إلى ملبورن ونحن لا نكف عن  
 الضحك . .

وبدأت الليلة الأولى ووقف إلياس يودى مسئولياته ( الإذاعة والستارة  
 والتلقين ) وكنت قد اطمأنت إلى جمهورنا الذى عرفنا فى ( سيد درويش )  
 مطمئناً إلى وفرة توزيع التذاكر . ومن خلال فرجة الستار كنت ألمح  
 الجمهور مسروراً مندهشاً كأنه مسحور لا يصدق أنه سوف يشهد مسرحية  
 مصرية ويرى فناً مصرياً .

ثم أعلن إلياس عن رفع الستار . ورفع الستار عن مسرحية ( روض  
 الفرج ) القصة القصيرة التى كتبها ( نجيب محفوظ ) منذ أكثر من ربع  
 قرن ، والتى حولتها إلى مسرحية أخرجها فى مصر ( حسين كمال ) وقدمها  
 مسرح التلفزيون فى بداية موسمها الثالث .

أسبوع من التمثيل والنجاح والتصفيق . ثم انتهى عرض ( روض  
 الفرج ) ، وبدأنا نجتمع لنخطط للمستقبل ولنرى آثار نجاحنا .

جاءنا عرض بأن نقدم المسرحية لمدة أسبوع فى ( سيدنى ) على حساب  
 التاجر اللبناني الكبير ( إدمون ملكى ) ، وجاءنا عرض آخر من الشيخ



مسرحية روض الفرج

فهى الإمام بأن نستأجر سينا بصفة دائمة نقدم فيها عروضاً كل ليلة على أن يمولى هو المشروع .

وعرض علينا غالب نصر الدين أن يتولى هو الإنفاق على الفرقة على أن نتقاضى نحن أجراً ثابتاً .

كانت هذه العروض جميعاً مغرية ، وكانت نتيجة طبيعية لنجاحنا ، ولكنى كنت أرجئ البت فيها لأسمع الصوت الجديد الذى كان يهمس فى أعماق ،

فماذا كان يقول هذا الصوت ؟ .



## ❁ مأمور ضرائب ❁

خرجت من شركة الإعلانات وفي جيبي شهادة بمدة الخدمة ومرتبى عن الأسبوع الأخير ومكافأتى عن مدة خدمتى بالشركة .

كان الجو صحوً جميلاً والشمس ساطعة ، وكانت المحلات التى تعرض كل يوم مختلف المعروضات تلمع تحت أشعة الشمس ، وكانت المدينة كلها تبدو وكأنها معرض لوحات فنية حية .

كنت سعيداً أحس بالنشاط فى روحى وجسمى ، وأشعر بأننى أريد أن أعانق كل من يقابلنى . . كل هذا لأننى حققت هدفى واستقلت من هذه الوظيفة الممتازة ! !

كان النهار ما يزال فى أوله ، فتسكعت فى الشوارع وطففت بالأماكن التى مررت بها فى أيامى الأولى وأنا ضال وحيد أتخبط فى سيرى وأخبط رأسى فى الحائط بحثاً عن حل . الآن حبيبى عامر بالنقود وقلبى ملىء باللاطمشان وكل شىء يبدو جميلاً بسيطاً مفهوماً وليس فى نفسى ذرة من خوف من شىء . ذهبت إلى مكتب العمل وقيدت اسمى ، ووعدنى الموظف بإرسال ( تأمين البطالة ) إلى عنوانى فى نهاية الأسبوع ، وهو التأمين الذى أظل أستحقه طالما كنت بدون عمل .

ثم ذهبت إلى السوق واشترت مؤونة الأسبوع التالى ، وضممتها بضع وحدات من جوز الهند الذى يباع بسعر ( ١٠ سنتات ) للواحدة ، ثم ركبت الترام إلى البيت . لم تندهش ( مسز كروناس ) لرؤيتى أعود فى وسط النهار ، فقد سبق أن أخبرتها باستقالتى وسبق أن أبدت دهشتها وأسفها .

فى المطبخ جهزت الغداء وبعد أن تغذيت تمددت فى حجرى تاركاً لخيالى العنان مفكراً فى لا شىء حتى غلبنى النوم .

إحساس كامل بالفراغ السعيد هو الذى كان يملؤنى فى ذلك اليوم ، ورغبة فى التقلب على السرير ما بين النوم واليقظة إلى الأبد . . .

آه لو أستطيع أن أتفرغ لفرقة أضواء القاهرة . . ولكن ما الفائدة ما دام أعضاء الفرقة لا يستطيعون أن يتفرغوا ويتركوا وظائفهم ؟ كنا محكومين بلقمة العيش . ولكنى سعيد سعادة دافئة عريضة تحيط بى وتهدهدى بين أحضانها ، فلا أبعد عن ذهنى إذن الأفكار الحزينة والصعبة ، ولا أتمتع بأشعة الشمس التى تدخل من النافذة وتتخلل جسمى وروحى .

ما هى المدة التى حددتها لنفسى لأبدأ بعدها العمل . . ؟

أسبوعان . قلت لنفسى : يكفينى جداً أسبوعان أعيشهما كالسائح السعيد وأبحث خلالهما عن وظيفة جديدة ، ثم أبدأ العمل الجديد بعد أسبوعين .

هكذا بدأت أتمتع بإجازتى ، وأبحث - على مهل - عن الوظيفة الجديدة . ومر الأسبوع الأول وجاءنى تأمين البطالة فى مواعده ، وتسلمته وأنا أشعر شعوراً غريباً بالامتناع . البطالة نفسها كلمة قبيحة . ولكن لم أشعر هكذا ؟ ألسنت أنا الذى أختار البطالة . . ؟

ومن بداية الأسبوع الثانى بدأت أبحث بنشاط أكثر عن الوظيفة

الجديدة . ولكن مر الأسبوع كله دون أن أوفق إلى شيء .  
 آه . . . بدأ الخوف يتسلل إلى نفسي . . . ماذا لو طالت فترة البطالة  
 أكثر مما قدرت لها ؟ لقد تبطرت على الوظيفة الجميلة السابقة فهل يقدر لى أن  
 أدفع الثمن بطلاة مستمرة . . ؟

ودفعنى الخوف من شبح البطالة الدائمة إلى أن أعود إلى حماة الوظائف  
 الصغيرة ، فطرقت كل المجالات التى كنت أسمع عن وجود وظائف بها .  
 تقدمت إلى مصلحة المواصلات أطلب تعيينى ( كمسارى ) ولكنى رسبت فى  
 ( الوزن ) ، وزنوى فوجدونى أزيد ( رطلا ) على الوزن المطلوب للكمسارى .  
 وكانت هذه هى المرة الأولى التى أسمع فيها بأن الوزن من شروط التعيين  
 فى أى وظيفة .

وعدت إلى مصلحة البريد بأمل أن أقضى فيها فترة انتقال أخرى ، وكنت  
 أتصور أننى أستطيع أن أبدأ من جديد ، ولكن اتضح لى أنهم يحتفظون  
 بسجل فيه أسماء كل من تعينوا عندهم ، ولذلك سألونى لماذا استقلت ؟ ولماذا  
 أعود الآن ؟ كانت مفاجأة لى ، فاخترعت لهم قصة ملفقة عن مشروع  
 تجارى وهمى زعمت أننى استقلت لكى أبدأ فيه ، ولكن المشروع فشل .  
 لا أدرى أبدت قصتى مقنعة أم لا ، ولكنهم وعدونى بأن يخطرُونى فيما بعد ،  
 ثم أخطرُونى فعلا بالاعتذار .

ثلاثة أسابيع ولم أجد أى وظيفة . .

هل أتصل ببيتى من جديد وأعتذر له وأرجوه أن أعود إلى العمل معه ؟  
 ولكن بماذا أفسر له هذه التصرفات الغريبة ؟ نبذت الفكرة جانباً على  
 رغمى ، وواصلت البحث عن وظيفة وأنا أزداد كل يوم إحساساً بالندم

والخجل حتى صار تأمين البطالة الذي يصلني أسبوعياً سكيناً تطعن كبريائي ومشاعري . ثم سمعت أن مصلحة الضرائب محتاجة إلى موظفين ، فجريت إلى مجمع ( الوزارات ) وهو الذي تجتمع فيه رئاسات المصالح كلها . .

دخلت حجرة الاستعلامات فوجدت سكرتيرة تجلس خلف حائط نصف دائري ، وأمامها مجموعة من الشبان ، فوقفت معهم وأخبرت الفتاة بأنني أريد أن أتوظف في مصلحة الضرائب . وبدون أن ترد الفتاة - ربما بحكم العادة - أعطتني استمارة طلبت مني أن أملأ فيها البيانات الخاصة باسمي وشهادتي ونخبرتي . وبعد أن ملأت الاستمارة أخذتها مني ثم كتبت لي خطاباً وطلبت مني أن أذهب إلى مصلحة الضرائب وأسلم الخطاب إلى موظف شئون العاملين .

أخذت الخطاب وأنا غير مصدق وطرت إلى مصلحة الضرائب ثم إلى موظف شئون العاملين وطرقت الباب ودخلت .

وجدت الموظف رجلاً هادئاً وديعاً كأنه مدرس ابتدائي ، ووجدته يتناول غداءه ، لكنه تسلم الخطاب وفتحته وقرأه وأشار إلى بالجلوس وهو مستمر في الأكل ، ثم سألني بضعة أسئلة وأخبرني في النهاية أنه موافق على تعييني .

تنفست الصعداء ، ولكنه سألني : هل قابلت مستر ( فيتر جيرالد ) ؟ من هو مستر فيتر جيرالد ؟ إنه رئيس مجمع الوزارات وهو الذي تخرج من مكتبه كل توصيات التعيين . والفتاة التي أعطتني الخطاب هي سكرتيته . لم أقابله طبعاً ولم أسمع بوجوده إلا في هذه اللحظة ، والظاهر أن الفتاة أخطأت وتصرفت من تلقاء نفسها .

لا بد من مقابله . هكذا قال موظف شئون العاملين . لا شيء يتم بدون موافقته ، وكان يجب أن أقابله قبل حضوري ، فإن مقابله هي حجر الأساس في كل تعيين . اعتذرت بأنني لم أكن أعرف ذلك ، ولكنه تمسك بهذا الإجراء ، وقال إن موافقته مرهونة بموافقة مستر فيتر جيرالد . . . هل يموت هذا الأمل الوليد ؟ .

سلمت أمري إلى الله . وكتب لي ذلك الرجل الوديع خطاباً يتضمن موافقته ، وطلب مني أن أذهب بالخطاب فوراً إلى مستر فيتر جيرالد . ثم أعود إليه في حالة الموافقة . أخذت الخطاب وعدت جرياً إلى مجمع الوزارات ، ثم إلى الغرفة التي بدأت منها ، وسلمت الخطاب إلى السكرتيرة وطلبت مقابلة مستر فيتر جيرالد .

دخلت الفتاة حجرة جانبية ، وما هي إلا لحظات حتى خرجت ومعها رجل عجوز محتقن الوجه كأن جلد وجهه مسلوخ ، وقد نظر إلى نظرة فاحصة ثم أشار إليّ بأن أدخل معه الحجرة .

دخلت معه وأنا أشعر بأن حياتي على كف عفريت . جلست ولكنه لم يجلس بل وقف ثائراً يلوح بالخطاب في يده ، وقال إن كل الإجراءات التي تمت خاطئة ، وإنه كان يجب أن أبدأ من عنده هو . وبجده سخيفاً ، ووجدت كلامه سخيفاً ، وكنت أشعر بالغضب يملؤني ، فقلت له إنني لم أكن أعرف ، وإنه إذا كان هناك خطأ فهو خطأ السكرتيرة . ثم قلت له إنني معه الآن فلنبداً من جديد إذا شاء .

أدهشته إجابتي فتوقف لحظة ، وبلع ريقه ، ثم قال في صراحة بغیضة ، إن مجمع الوزارات لا يسمح لأحد بالتعيين إلا إذا كان أسترالياً أو إنجليزياً .

آه . . . الحكاية كده ؟ . . .

نظرت إلى ذلك الخنزير الأحمر الثائر ، ورأيت فيه كل صور الاستعمار البغيض ، ونسيت بطالتي وحرصى على الوظيفة ، وقلت له رأى بصراحة . قلت له إن هذه روح تعصب عنصري يجب ألا توجد في بلد مفتوح للمهاجرين ، وإننى لا أجد أى فارق بينى وبين الأسترالى أو الإنجليزى ، فأنا مهاجر شريف حاصل على شهادة جامعية من جامعة معترف بها في العالم كله . وإذا كنت بعد ذلك أجد أن الفرص في أستراليا ليست متاحة للجميع وأن فيه خيار وفقوس فإن الأكرم لى أن أعود إلى بلدى .

فهل يحب المستر فيتز جيرالد أن أعود إلى بلدى ؟

جلس الخنزير في مقعده وهو ينظر إلى في حنق ، وترددت على شفتيه أشياء كثيرة لم يقلها ، ثم لجأ إلى سلاح آخر ، فقال إننى لن أكون سعيداً وأنا أجد نفسى وسط أشخاص كلهم أجنب عنى .

وقلت له إننى لا أبحث عن السعادة بل عن وظيفة ، وأما السعادة فإننى أفضل أن أكتشف بنفسى الإحساس بها أو بعدمها في الوظيفة .

شعرت بالقوة والثقة وأنا أرى ذلك الخنزير الأحمر يتلثم أمامى ولا يجد المنطق القوى الذى يفحمنى به . وفي النهاية قال لى إنه مضطر إلى الموافقة ما دامت كل الإجراءات التى من المفروض أن تتلو موافقته . . . قد سبقت هذه الموافقة ، وابتسمت له شاكراً ، وأمضى هو الخطاب الجديد على مضض وهو ما يزال يؤكد لى أننى لن أكون سعيداً .

أخذت الخطاب وعدت إلى مصلحة الضرائب ، وقابلت موظف شئون العاملين وسلمته الخطاب ، فهنأتى ، وأخرج ورقة صغيرة كتب فيها اسمى

وشهادتي وتاريخ تعييني ، ثم طلب مني أن أبدأ العمل في الصباح التالي . . .  
وكانت المفاجأة الرائعة - ولعلها سر غضب المستر فيتر جيرالد - أنني  
عينت بمرتبة على أساس شهادتي الجامعية . عينت بـ ( ٧٠ دولاراً ) في الأسبوع  
وأما الوظيفة نفسها فهي مأمور ضرائب .

كانت هذه النتيجة هي خير تعويض عن متاعب الأسابيع الثلاثة  
الماضية ، وقد أخطرت مكتب العمل في نفس اليوم بالتعيين الجديد لكي  
يمنعوا عني تأمين البطالة المشثوم ، وذهبت إلى مصلحة الضرائب في الثامنة  
من صباح أول يوم من أيام الأسبوع الرابع . وجدت نفسي مرة أخرى  
واحداً من دفعة من الموظفين . كلهم مأمورو ضرائب ، وكلهم أستراليون ،  
واستمعنا إلى المحاضرة التقليدية عن الضرائب وجديتها وأهميتها ، ثم تعهدنا  
بعدم إفشاء أسرار العمل ، ثم وزعونا على الأقسام المختلفة . وكان نصيبي  
أن أتسلم العمل في قسم ( الاستحقاقات ) في المبنى الجديد من مصلحة  
الضرائب ، وهو عمارة مكيفة الهواء من بدايتها إلى نهايتها مضاءة كلها  
بأضواء رقيقة غير مباشرة تخلع عليها وعلى حجراتها جواً سحريراً جميلاً .

تقدمت نحو رئيس المكتب ، وقدمت نفسي إليه ، فرحب بي باسمياً وقدم  
إلى نفسه : جوردون ، ثم بدأ يطمئنني من البداية إلى سهولة العمل وسهولة كل  
شيء في المصلحة ، ثم أعاد على الأسطوانة القديمة التي تقول بأنه يتوقع مني أن  
أخطئ في البداية فلا يجب أن تزعجني أخطائي .

ثم صاحبني معه وقدمني إلى زملائي في الفرع الذي سوف أعمل به ،  
وكان ذلك الفرع جزءاً من الصالة الكبيرة التي يجلس فيها ما لا يقل عن مائتي  
موظف وموظفة . وتفصل بين فروع القسم المختلفة حوائط رقيقة من الزجاج .

ثم أرشدنى جوردون إلى مكتبى ، وأشار إلى رف مجاور للمكتب وأخبرنى  
أننى سوف أجد فيه كل صباح مجموعة من إقرارات الضرائب ، وكل ما على  
عمله هو أن أفحص هذه الإقرارات لأتحقق من سلامة بياناتها بالمقارنة  
إلى الشهادات المختلفة التى يقدمها دافعوا الضرائب مع إقرارات الضرائب ،  
وبعد ذلك أعيدها إلى الرف .

وبعد أن قدمنى جوردون إلى زملائى الجدد وسماهم لى واحداً واحداً  
همس فى أذنى : أنا واثق بأنك لم تحفظ اسماً واحداً من هذه الأسماء ، وهذا  
شئ طبيعى ، ولكنك سوف تعرف الأسماء جيداً مع الوقت . . .

ثم تركنى لينصرف فقلت له شكراً يا مستر جوردون ، ولكنه عاد مسرعاً  
وقال لى : لا تقل ( مستر ) أبداً . . جوردون فقط . الجميع هنا ينادون بعضهم  
بدون ألقاب فلم أدر ماذا أقول ، وابتسمت وجلست ، وانصرف جوردون ،  
ولكنه عاد مرة ثانية قبل أن يصل إلى مكتبه ثم قال : نسيت أن أرشدك إلى  
أهم شئ . تعال معى . قمت معه وسرنا حتى خرجنا من الصالة إلى السلم ثم  
هبطنا دوراً فوجدت نفسى أمام دورات المياه . وأشار جوردون إلى دورات  
المياه وقال هذه هى دورات المياه ، ويجب أن تعرف أن هناك اثنتين واحدة  
للرجال وواحدة للسيدات . الخاصة بالرجال لونها رمادى وعليها رسم  
يمثل رجلاً وكلمة ( رجال ) مكتوبة . والخاصة بالسيدات لونها أحمر  
وعليها رسم يمثل امرأة وكلمة ( سيدات ) .

وأوضح لى جوردون كل هذه الفروق الساذجة بدقة وصبر ، واستمعت  
إليه أدباً وبجاملة ، فلست من البلاهة بحيث أحتاج إلى مثل هذه الإيضاحات .  
هل يظننى الرجل الطيب قادماً من المريخ ؟

على أى حال كان جوردون يبذل كل جهده ليجعلنى أطمئن إلى العمل وإلى المكان وإلى الناس وإلى كل شىء . أما جوردون نفسه فقد وجدته إنساناً بسيطاً يتكلم ببطء وتهته خفيفة ونظرة شاردة ويلبس بدلة قديمة مقلوبة . وجدته الصورة النموذجية لموظفى الأرشيف فى وزاراتنا .

الآن عرفت واجباتى وزملائى ومكان دورة المياه والفروق الخاصة بها ، فهل بقى شىء لم أعرفه ؟ المواعيد . من التاسعة صباحاً إلى الخامسة إلا تسع دقائق . والعمل متصل طول اليوم باستثناء فترتى الشاى فى الصباح والمساء وفترة الغداء ( ساعة ) من الواحدة إلى الثانية بعد الظهر .

هكذا عدت إلى العمل فى الحكومة من جديد . مأموراً للضرائب لا ( أفندياً ) كما كنت فى مصلحة البريد . ووجدت العمل يتسم بالدقة والآلية والنظام والهدوء الغريب . وكأن الجميع منومون مغناطيسياً أو كأنهم يؤدون صلاة فى معبد ، فإذا جاءت فترة الشاى كان من حق كل واحد أن يفعل ما يشاء ، يجلس على المكتب أو ينام فوقه أو يأتى بكل ما يحلو له . هو حر فهذا الوقت ملكه هو .

وعرفت أن نظام الضرائب فى أستراليا يقضى بنخصم الضريبة أسبوعياً من مرتب كل موظف وكل عامل . وفى نهاية السنة يملأ كل مواطن إقراراً للضرائب يكتب فيه مرتبه السنوى وينخصم منه الضرائب الأسبوعية التى خصمت منه على مدار السنة . فإذا وجد أن الضرائب زائدة على الحد الذى يجب أن يدفعه ( بناء على نسبة معروفة ) فإنه يطلب ( الفرق ) من مصلحة الضرائب فى نفس الإقرار وبعد يوم أو يومين يصل إليه شيك بالمبلغ المستحق . .

والذى يحدث هو أن جميع المواطنين يقبضون فروقاً في نهاية السنة ،  
وهكذا ، فإن موعد المحاسبة على الضرائب يكاد يكون عيداً قومياً يسعد  
فيه الجميع بما يصل إليهم من شيكات ! !

ومع الوقت عرفت زملائى وتعودت العمل وأن أجلس بدون عمل إذا  
كان الرف خالياً وابتدأ رصيدى فى البنك يرتفع من جديد .  
وبدا مرة أخرى : أنه ليس فى الإمكان أبدع مما هو كائن .



## ❁ الدقائق الأخيرة ❁

فتحت النافذة فوجدت ( شيطان الهدم ) أمامي . .  
تراجعت في ذعر ، ولكني لم أستطع أن أبتعد . وجدتني أقرب منه  
مجدوباً بقوة غير منظورة . نظرت إليه فوجدته يبتسم ويغمزني بعينه . .  
تهدت وقلت : أهلاً وسهلاً عايز إيه ؟

استند الشيطان إلى إفريز النافذة وعقد يديه فوق صدره حاجباً عني  
الشمس والضوء والهواء ، ولم يقل شيئاً ولكنه لم يكف عن النظر والابتسام .  
قدمت له سيجارة فhez رأسه رافضاً واتسعت ابتسامته كأنما يقول لي :  
العب غيرها . تظاهرت بالاستخفاف ، وحاولت أن أتجاهله فأشعلت سيجارة  
وتمددت في السرير وفتحت كتاباً وتظاهرت بالقراءة فيه ، وأنا أختلس  
النظر إلى الشيطان .

لم يخدعه التظاهر . لم يختف . لم ينجح التجاهل ، فأغلقت الكتاب ،  
وقمت من السرير واقتربت من النافذة وصحت فيه : عايز إيه ؟  
قال ( وكنت أخمن ما سوف يقوله ) عايزك تستقيل من وظيفتك وتحل  
فرقة أضواء القاهرة . . وتعود إلى بلدك .

روعني كلامه برغم توقعي له . قلت : ولكن هذا جنون . إنني الآن في أوج

نجاحي ، وظيفتي ممتازة ومرتبتي كبير وفرقتي ناجحة محبوبة وأنا الآن أجنى ثمار كفاحي في أستراليا .

هز رأسه باستخفاف : كلام فارغ ، لقد قمت بتجربة ووصلت إلى نهايتها ولن تستطيع أن تستقر فيها لأنك تزهد كل شيء بمجرد النجاح فيه . قلت محاوراً آملاً : لست زاهداً هذه المرة . إنني أريد الاستمرار فيما حققته من نجاح .

قال : انظر بخيالك إلى المستقبل فلن تجد إلا النجاح . لا جديد سوف يحدث . وهذا معناه في الحقيقة أنه لم يعد أمامك إلا الموت . الكفاح والصراع والأمل والفشل هي التي تعطيل العمر وتجعل الحياة جديرة بالحياة . أما النجاح فهو النهاية . هو الخطوة الأخيرة التي ليس بعدها إلا انتظار الموت . فهل تحب أن تموت ؟

ارتعدت وقالت : لا . إنني أكره الموت وبمجرد تفكيرى فيه ينغص على حياتي . ولكن المسألة الآن ليست بمجرد تجربة . إن معنى ما تقول هو أن أهدم كل شيء لأبدأ من الصفر من جديد .

قال : وهل هناك ما هو أجمل من أن تبدأ من الصفر ؟ الصفر هو الشباب . هو الميلاد المتجدد . البدايات تجعلك شاباً دائماً . هل نسيت أن سبب خروجه من مصر هو شعورك بأنه لم يعد أمامك جديد تتوقعه وليس عندك إلا الاستمرار فيما وصلت إليه ؟ ألا تجد نفسك الآن في نفس الحال التي كنت فيها في مصر ؟ ماذا أمامك من جديد في أستراليا ؟ مزيد من الدولارات في البنك ؟ مزيد من النجاح والشهرة ؟ كل هذا متشابه وكل هذا معناه أنه مقدمة للموت . قلت متشبثاً بأمل جديد أخير : ولكن ماذا يقول الناس

عنى ؟ كيف يفهمون موقفى إذا هدمت كل شىء ؟  
قال الشيطان ، لا يهتمك الناس . اتبع نفسك فقط ، اسمع كلامى  
تذكر أنه ليس بعد النجاح إلا الموت .  
طأطأت رأسى مفكراً فى كلامه ، ثم نظرت إليه ، ولكنه كان قد اخته  
وإن استمر صوته يهمس فى أعماقى . ارجع . ارجع . . .  
كان هذا هو الصوت الذى ملأ نفسى بعد عرض ( أضواء القاهرة  
الآخر وعبتاً حاولت أن أصم أذنى عنه . . فى بعض الأحيان كنت أحاول أن  
أخدعه بأن أحول كلامه إلى حلم يقظة ليضعف تأثيره فى نفسى ، فأتصو  
نفسى وقد عدت إلى مصر وقابلت أهلى وأحبائى وجلست من جديد  
الأماكن التى تعودتها ، ومشيت فى الشوارع التى أحبها ، ولكن هذه المحاولات  
لتسميع كلامه إنما كانت تثبت كلامه حتى بدت لى -- أخيراً -- العود  
وكانها الهدف الوحيد المنشود . . .  
انتصر الشيطان ، والتحمنا معاً حتى صرنا شخصاً واحداً . قررت العود  
إلى مصر .

لم يوافقنى واحد على رأيى . عارضنى الجميع . تونى وإلياس ورش  
وسلوى وريكاردو وغالب والشيخ فهمى ودكتور ميرزا والأب بولس  
عارضونى وسفهوا كلامى ، ولكن لا فائدة . كانت العودة الآن هى الهدف  
الوحيد الذى يملأ كيانى نشوة وانفعالا ، وتطلعت بلهفة لا مزيد على  
إلى أن أبدأ من الصفر فى مصر . أبحث عن وظيفة وعن مسكن وع  
وجود .

بدأت الوفود تزورنى يومياً لإثنائى عن قرارى ، ولكن منطقى -- لدهشة

كان أقوى من منطق الجميع . وبذل الأحباء آخر سهم في جمعيتهم . عرض على دكتور ميرزا والشيخ فهمسى أن أبقى في أستراليا وأستقيل من العمل وأتفرغ للمسرح وأتقاضى مرتبى من الرابطة العربية . كان عرضاً جميلاً ، وكان خير تعويج لكفاحى . ولكن لا فائدة . . لقد قررت العودة وبدأت تنفيذ إجراءاتها .

ذهبت إلى البنك لأسحب ثمن تذكرة العودة . كان رصيدى قد شارف ( ١٠٠٠ دولار ) ، وتذكرت دخولى إلى ملبورن منذ شهر قليلة وكل ما فى جيبي ( ١٦ دولاراً ) ثم حجزت تذكرة على الباخرة ( جاليليو ) التى تسير من أستراليا إلى إيطاليا .

وقدمت استقالتى إلى جوردون الذى ذهل . كان قد مضى على فى مصلحة الضرائب أربعة أشهر تقدمت فيها كثيراً ، ونجرت العمل ، وصرت بالفعل واحداً من ( قسم الاستحقاقات ) . حاول جوردون أن يثنىنى عن عزمى ، ولكنى تشبث بالاستقالة كما يتشبث الطفل بلعبته ، وعند ذلك تهد الرجل الطيب ووافق ، ولكنه قدم إلى اقتراحاً أفضل من الاستقالة .

قال : لماذا تستقيل ؟ . لماذا لا تأخذ إجازة ؟

قلت مندهشاً : إجازة . . . ؟

أجاب : إجازة سنة بدون مرتب . لعلك بعد أن تعود إلى مصر تغير رأيك وتعود إلى أستراليا ، وفى هذه الحالة تجد وظيفتك محفوظة .

قلت : ولكنى موظف جديد فهل من حقى أن آخذ إجازة طويلة بهذا

الشكل ؟

أجاب : أنا لا أعلم أذلك ممكن أم غير ممكن ؟ ولكنى سأحاول . سوف

أكتب طلباً وأقدمه إلى مجمع الوزارات ولنتنظر الرد منها معاً .

وجاء الرد بالموافقة ، وحصلت على إجازة لمدة سنة بدون مرتب بعد عمل أربعة أشهر فقط . قلت لجوردون : أريد أن أترك العمل قبل سفري بأسبوع . سألتني : لماذا ؟ فأجبت : لكي أقدم طلباً أطلب فيه استرداد الزائد مما دفعته من ضرائب . فابتسم وأجاب : هل من المعقول أن تكون موظفاً في مصلحة الضرائب ثم تحتاج إلى أسبوع لتتال حقلك . ابق في العمل حتى آخر يوم ، وسوف يأتيك حقلك وأنت تعمل ، وبذلك تكسب مرتب أسبوع .

وكتب لي جوردون إقرار الضريبة ثم هرش رأسه وقال : إن ما سوف يعود إليك مبلغ صغير هو ( ٦٥ دولاراً ) فقط . .

لم أفهم معنى كلامه ، فقلت : مادام هو حتى فأنا راض به . ولكنه بدا غير مقتنع بكلامي . نظر إلى وابتسم ثم قال : ألا تنفق على أحد ؟ فكرت ثم هزئت رأسي نفياً ولكنه قال : سوف نعرض أمرك على أنك تنفق على عائلة وأنت أنفقت عليها في المدة السابقة ( ٤٠٠ دولار ) فما رأيك ؟ . .

ما رأي ؟ إنه يطلب مني التزوير . لم أدر ماذا أقول فلم أرد . ولكنه وضع هذا الرقم في خانة مصروفاتي وبذلك ارتفع المبلغ من ( ٦٥ دولاراً ) إلى ( ٩٠ دولاراً ) . لقد زور رئيس قسم الاستحقاقات بمصلحة الضرائب إقرار الضرائب من أجل أن يحاملي . ولكنه كان تزويراً جماعياً شاركه فيه رؤساؤه أيضاً عن طيبة قلب .

وفي اليوم الأخير فوجئت بمجموعة من الهدايا من جوردون والزملاء جعلت الدموع تنهمر من عيني ، ثم صافحت الجميع وخرجت وأنا ألعن نفسي وألعن شيطاني معاً . أما مسز كروناس فإنها أعطتني من وقتها يوماً كاملاً

خرجت معي فيه لشراء الهدايا التي كنت أريد إحضارها معي ، لم تخرج معي لتؤنسني فقط أو لتختار لي ، بل لأنها تملك أبونها يعطيها الحق في خصم ٢٠٪ في كل ساعة تشتريها ، وبذلك وفرت لي مالا يقل عن ٤٠ دولاراً .

كان الجميع كرماء ، غمروني بالحب والمودة ، وجاءت الليلة الأخيرة وامتلاً المنزل . حضر توني باكياً باسمياً ، وحضر إلياس حزيناً وقوراً ، وحضرت سلوى ورشاد وماري لطفى وأخوتها وكل أعفءاء ( أضواء القاهرة ) وأعضاء ( الرابطة العربية ) ، وامتلاً المنزل بالضحك والدموع والتمنيات الطيبة وامتدت السهرة إلى الساعات الأولى من الصباح .

وفي الصباح جاءني دكتور ميرزا بعربته ليصحبني إلى الميناء . وفي الطريق مررنا بكل أصدقاء وأصدقاء كفاحي : غالب نصر الدين والشيخ فهمي الإمام وادموند ملكي والأب بولس الخوري . ودعت الجميع للمرة الأخيرة وتألمت لأنني لم أجد الأب بولس الخوري . ولكني تركت له خطاباً أودعه فيه .

وفي الميناء نقل العمال حقائبي إلى كابيتي في الباخرة ( بدون تفتيش ) ثم جلست مع دكتور ميرزا في الكافيتريا حتى اقترب موعد قيام الباخرة ، وعند ذلك صعدت إلى الباخرة لأعرف مكان الكابينة التي سوف أبقى فيها شهراً كاملاً ، وما إن جلست في الكابينة حتى فوجئت بمن يطرق الباب . فتحت الباب فإذا به الأب بولس الخوري . لقد جاء الرجل النبيل يودعني بنفسه ، واعتذر عن عدم وجوده في الكنيسة ثم قال إنه ما كان يصفح عن نفسه لو أنه لم يرنى قبل سفرى .

ماذا فعلت حتى أستحق كل هذا الحب ؟

EMBASSY OF THE  
UNITED ARAB REPUBLIC  
AUSTRALIA.

MR. S. TANTAWY  
405 Lygon ST.  
Carlton,  
MELBOURNE  
VIC.



١٩٦٧ / ٨ / ٧

الرجاء / صلاح طنطاوي

أخيه بلبيس بلبيس

وصلنا خطابكم بتاريخ ٢٧/٨/٧ وصرح بالترتيب

بمبلغ ١٠٠٠ دولار

أرجو انه ستقبل باسم البعثات المصرية وزعماء

فناصري الامانة على ما تقدم به من جهود مشقة

والتكريم

وانه زوجه دماك البعثات، ومزيدا من الجاه

نتمنى لكم التقدم والرفق بكم كسيرة لخال

بالتواضع

خطاب شكر من السفارة المصرية في أستراليا

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA  
مكتبة الإسكندرية

## صدر للمؤلف

دار المعارف	مجموعة قصصية	الناس والحجارة
الدار القومية	مجموعة قصصية	النقش على الحجر
الدار القومية	مسرحية	سيد درويش
الدار القومية	أوبريت	الحلوة دى
١٠ مليون دقيقة فى أستراليا أدب رحلات (الطبعة الأولى) كتابات معاصرة		
الأهرام	ترجمة (أجاثا كريستى)	القتيلة الثالثة
»	ترجمة (أجاثا كريستى)	الضحية القائلة
»	ترجمة (روبرت ديبلون)	الضوء القاتل
روز اليوسف	دراسة أدبية	رحلة حب مع أجاثا كريستى
رحلة حب مع سيد درويش		تحت الطبع :
أحزان طائر الكناريا.. ليلي مراد		
كتب للأطفال :		
عالم الكتب		صندوق الدنيا
دار المعارف		كروان
»		حلم زنوبة
»		حارة ستوتة
»		النخلة الذهبية
»		ثوار كوكب لوكور
»		مغامرات الدكتور فصيح

## المحتويات

صفحة

٥	تقديم :
١١	١ - الطريق إلى قوس قزح . . . . .
٢٥	٢ - سلطانية شاي . . . . .
٤١	٣ - شارع دراموند . . . . .
٦٥	٤ - دائرة الطبشير الأسترالية . . . . .
٧٧	٥ - جريمة المحطة . . . . .
٩٩	٦ - أضواء القاهرة . . . . .
١١٥	٧ - ضابط بريد . . . . .
١٣٧	٨ - رسام إعلانات . . . . .
١٤٦	٩ - روض الفرج . . . . .
١٦٤	١٠ - مأمور الضرائب . . . . .
١٧٤	١١ - الدقائق الأخيرة . . . . .

١٩٧٦/٤٩٨٠	رقم الإيداع
ISBN ٩٧٧ - ٢٤٦ - ٥٤١ - ٨	الترقيم الدولي
مطابع دار المعارف - ١٩٧٦	١/٧٦/٤٧٠



2.50V / .1

2  
20



Biblioteca Alejo José G. S. V. L.



0248808